

روايات مصرية للحب



أسطورة

62

ما وراء الطبيعة

صندوق بندورا

Looloo www.dvd4arab.com



د. أحمد خورشيد

مقدمة

لا أذكر إن كنت حكيت لكم قصة (صندوق بندورا) هذه أم لا ..

المشكلة هي أنني حكيت الكثير فعلاً ، حتى صرت لا أذكر أى شيء حكيت به .. يبدو أن هناك قصصاً ضاعت للأبد .. ونسيت أنني نسيتها .. كما أن هناك قصصاً ما زلت أعتمد للمرة الألف أنني لم أحكها بعد ..

لحظة حتى أراجع مفكرتى .. قصص المسوخ . أعتمد أنني كلمتكم عن (الشيء) ؟ جميل .. قصص القدرات الخارقة .. قصص الطلائع المغلفة .. لا .. لم أحك قصة (بندورا) .. إنها مناسبة ، ولتكونن هي قصتنا اليوم ..

كم الساعة الآن ؟ الثامنة مساءً .. جميل .. هذا يناسب قصص الرعب التي لم تُخلق لتسمع أو تُقرأ إلا ليلاً .. هناك من يرغبون في العودة إلى ديارهم في وقت معقول .. هذا طلب مفهوم خاصة بالنسبة للآلآت الصغيرات .. سأحاول أن أكون مختصراً وأن أنهي القصة قبل العاشرة مساءً ..

هل من شروط أخرى ؟

نعم .. أعرف أن صوتي خفيض .. إنها أسباب صحية لا دخل لي فيها ، لكني سأحاول أن أجعل صوتي مسموعاً ، ولتقربوا

قليلاً لتجعلوا مهمتى أسهل .. يمكن تضيق هذه الدائرة أكثر من هذا ..

ساعدونى فتم أيضاً بتقليل المهمات الجارية .. لا تصفون ما أقول ؟ ليكن .. كيف أبرهن على أننى صادق ؟ لا توجد طريقة على ما أعتقد ، لكن دعونا لا نأخذ الأمر على طريقة محققى الشرطة أو محاكم التفتيش .. هل حدث هذا أم لم يحدث ؟ هل تشرق الشمس من الشرق أم الغرب ؟

ليست الحقيقة هى كل ما نريد .. بل الخيال وربما الاستمتاع .. دع خيالك يرقم بالمهمة ، وتخل عن تحفظاتك المسبقة ..

هل من شيء آخر لم نقله ؟

نعم .. صوت الخطوات خارج الغرفة شيء معاد ولا يجب أن يقلقكم .. المخضرمون منكم ألفوه ولم يعودوا يتساءلون .. اعتبروه نوعاً من الموسيقى التصويرية التى تلعب دور الخلفية لكلامى ..

ولكن .. إنها الثامنة والربع .. إننا نضيع الوقت الثمين فى كلام لا طائل من ورائه ..

تعالوا نبدأ حالاً ..

كانت قصتى مع صندوق (بندورا) كما يلى ...

1- بلدة ما ..

لم يكن الأمر صعباً ..

ليس صعباً على الإطلاق ..

فى القرون الغابرة ، كان عليك أن ترى النظرة فى عينى خصمك .. ربما تحوى الرعب ، وهذا بالتأكيد يجعل الأمر أصعب .. ربما يتوسل إليك وهذا يجعل الأمور أصعب فأصعب .. كان عليك أن تلتحم به جسدياً .. كان عليك أن ترفع النصل عاليًا وتهوى به ، عالماً ما سيحدث بالضبط .. تعداد البشر قل واحداً .. هناك شرايين وأوردة وأعصاب لن تؤذى عملها للأبد ..

رباه! الحقيقة أن الحروب الشجاعة هى التى مضى عهدها .. أما اليوم فقد صارت الأمور أسهل ..

طيار فى مقعده المريح فوق السحاب يرى الأرض كخارطة لا أكثر .. يضغط الزر وينتهى الأمر ويعود .. لا وقت للتفكير فى شيء .. كل ما يهمه أن يكون دقيقاً وألا يخطئ الهدف .. كانه يلعب لعبة فيديو ما ..

حتى مع مستوى أقل من التقنية - كما هو الحال الآن - يظل الأمر سهلاً ..

كل ما عليه هو أن يجذب السلك إلى نهايته .. يخفى العبوة في موضع ما تحت البناية .. يتوارى بعيداً ..

إنه العام 1976 .. لقد خرج العالم من مرحلة صراعات عنيفة .. التقارب بين الولايات المتحدة والصين .. انتهت ثورة الشباب لأن حرب فيتنام انتهت .. (نيكسون Nixon) قد ترك البيت الأبيض من عامين يعد فضيحة (ووترجيت Watergate) .. الصراع العربي الإسرائيلي - كما حسبوا وقتها - يقترب من نهايته ..

لكن هذه البهجة اليونانية الهائلة لا تعرف شيئاً عما يدور خارجها .. إنها عبارة عن بركة ماء لا يحدث شيء على سطحها .. وما يحدث لا يدوم .. هل نذكر اسمها ؟ لا داعي لذلك حتى لا نتحمل بعم لا ينفع .. كفانا أنه بعد ساعات لن يكون لها وجود على الخارطة ..

أحياناً يجلس القوم في الحانة يتبادلون التعمية .. ربما يتحدثون عن الزوجات ، وكل الزوجات شريرات مخبولات في نظر هؤلاء القوم .. ربما يناقشون السياسة لكن آراءهم في السياسة حمقاء ساذجة .. ترى هل من الحكمة أن تعود

اليونان ثنية إلى حلف الناتو NATO ؟ ترى هل كان الحكم العسكري بقيادة (جيزيكيس Gizikis) أفضل مما يجري الآن مع حكومة (كرامانليس Karamanlis) المدنية ؟

ما رأيك في إجابة هذه الأسئلة ؟ لا تعرف ؟ قل أي رأي ولستوف يكن أكثر عمقاً وواقعية من آراء هؤلاء القوم .. يقول أحدهم وهو يمد كأسه للساقى :

« الحكم العسكري يمتاز بالحزم .. وهذا هو ما تحتاجه الشخصية اليونانية . الحزم .. الوالى العثماني العجوز كان يعرف كيف يعامل هؤلاء .. دع هامش ديمقراطية الليوناني ولستوف يمزقك في أية فرصة .. »

في هذه اللحظة كان (ميخائيل مندوريس) منهمكاً في بيته .

كان يحشو الخراطيش المصنوعة من الورق المقوى لهندقية الصيد الخاصة به .. لماذا يفعل ذلك ؟ ليقتل طبعاً .. ظننت هذا مفهوماً .. يقتل من ؟ لا أعرف طبعاً .. ظننت هذا مفهوماً .. هو كذلك لا يعرف .. كان هناك وجه واحد كريب يتوارى خلف الضباب ولا يمكن تبين ملامحه .. لكنه مقبب كالوباء ..

هذا الوجه يجب أن يموت .. يجب أن تطلق النار على زحام الناس .. لا يهم من يموت ومن يحيا .. المهم أن ذلك الوجه الشرير سوف يزول من على الأرض ..

أين يوجد أكبر عدد من الرجال في هذه الليلة ؟ في الحانة طبعاً .. يشاهدون إحدى المباريات على الشاشة الصغيرة ويثرثرون ..

غداً قداس الأحد ، وسوف يكون هناك عدد أكبر بالإضافة للنساء والأطفال .. لكنه لا يجرؤ بالطبع على تدنيس الكنيسة بالدم .. سيفعلها هنا والآن ..

★ ★ ★

ترتجف (تابيثا) من فرط الحمى ..

وللمرة الثانية بعد د. (فلسيلداس) النبض .. إنه بطيء وهذا يضع الحمى ضمن مجموعة محدودة جداً من الأسباب ، لكن الفتاة لا تستجيب لأي علاج ..

دنت الأم منه ووضعت المنشفة على جبين الطفلة ، وهيمت :

- « أترأه التيفويد Typhoid يا دكتور ؟ »

أحسكه هذا .. كأنه لم يفكر في تلك الحمى ألف مرة ، ويحقن الطفلة بجرعات عدة (إمبريقية) من الكلورامفينيكول Chloramphenicol .. وتكرر سلخراً ولامدة أجزاها منذ أعوام ، كانت تلميذة تمرّض مراهقة تقف جواره .. إذ برز الرأس هتفت الأم المنهكة : ولد أم بنت يا دكتور ؟

قال وهو يواصل التوليد :

- « لا أعرف بعد .. »

هنا قالت طالبة التمريض في حماس :

- « لو سمحت لي أن ألقى نظرة لأخبرتك .. فأتا أعرف هذه الأمور ! »

هكذا تتوقع الأم بهذه العبارة أن تدق جرساً في ذاكرته .. عندها يصرخ : التيفويد ! كيف لم أفكر في هذا ؟ إنني لأحمق حقاً ! ثم يملأ المحقن ويفرغه في وريد الفتاة فتشفى ..

قال للأُم وهو يعد نبض الطفلة من جديد :

- « في الحقيقة لا أعرف .. أعتقد أن السلطات الصحية يجب أن تأتي ، »

وما لم يقله لها هو أن حالة الطفلة هي الرابعة من نوعها هذه الليلة بالذات .. إن الأمر يتخذ صورة وبائية لا شك فيها .. هذه هي اللحظة التي يطوى فيها خيامه ويرحل كما يقول الأعرابي ، ويترك المهمة لمن هو أكثر ..

تشاجرت مع (بالاماس) يخف هذه الليلة ..

لم يكن الأمر يستأهل كل هذا الصراخ الجنونى ، لكنها فعلتها .. ولكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار مضاد فى الاتجاه .. وقد كان زوجها عنيقا مثتها وألعن ..

لماذا تشاجرت ؟ طبعاً لا تعرف .. ربما كان القمر المكتمل هو السبب ..

المهم أن البيت صار كتلة من الذهب .. الكراهية تسربت إلى كل ركن فيه وكل شق ..

كان هذا حين شعرت بتلك التوعكة فى هذه الليلة بالذات .. تشعر بارتفاع فى حرارتها .. وقد قامت بجهد بسيط فى التنظيف فلوجلت بأن حبيبات العرق تهبث فوق كل موضع من جسدها .. إنها لا تتحمل ملمس الثياب على جلدها ، وحين دنت من شاشة التلفزيون شعرت بأن الكهرباء الإستاتيكية تسع جلدها بألف دبروس ..

كان (بالاماس) يريد العشاء ..

كعادة يأتى عصياً بسبب ضيق الرزق .. وهو يريد العشاء حالاً ..

صاحت فى جنون :

« أغرس قليلاً ! أنا أسمعك ! »

كان هذا خطأ قاتلاً ، لأن (بالاماس) نموذج ممتاز للإنسان غير المتحضر .. لا بد أن جده القريب كان يجرحه من شعرها فى كهف ما .. وقد فوجئت به - خلال ربع ثانية - يقف أمامها والشر يشع من عينيه :

« ماذا قلت ؟ »

بدا لها مبتذلاً بحق .. سخيفاً بحق .. كيف يسمح إنسان لنفسه بأن يظلم سلفيه إلى هذه الدرجة ويغير نفسه وسيماً ؟ ثم هو يحاول أن يبدو قوياً .. وطريقته هذه صبيانية خالية من الأصالة ، كأنه يقلد بطل فيلم أعجب به ..

قالت فى تحد :

« قلت لك أن تخرس قليلاً .. لو كان الصراخ موهبة ، لكان الحمار أعظم الموهوبين ! »

خلع حزامه كما يفعلون في مصارعات الأرقعة ، ولفه حول قبضته ، وعاد يكرر :

- « هلمى .. ماذا قلت ؟ »

هذه المرة كانت مستعدة لأن تمضى إلى نهاية الشوط .. قالت في مزيد من التحدى :

- « أنت سمعتى مرتين .. لم أسمع عن حمار أصم ، لكذلك حققت هذا ! »

عاد يكرر السؤال :

- « ماذا قلت ؟ دعيني أسمع ! »

صرخت بأعلى صوت في حنجرتها :

- « اخرس !!! »

كان الأطفال يلعبون في حديقة المدرسة ..

لقد خيم الظلام على القرية ، لكنهم كانوا يأتون هنا ليلاً كي يلعبوا ليلة الأحد .. خاصة والمصباح الوحيد الموجود في غرفة السيد (ساماركيس) المدير يجعل إضاءة المكان مناسبة .. خافتة لكن كل شيء واضح .. أضف لهذا أن القمر مكتمل هذه الليلة بالذات ..

يبدو أن (فاسيليوس) قد هجم على العرمى ، في اللحظة التي استعد له (إلياس) ابن العاشرة كي يمنعه .. كانت النفوس متوترة والحماص جازفاً .. وهنا اندفعت قدمه في حذائها الثقيل لتركل ساق حارس العرمى ..

سقط هذا على الأرض ين بيلما انطلقت الكرة كالقذيفة في الهدف .. لم تكن هناك شباك لكنها اهتزت برغم هذا في لذهان الكل ووثب (فاسيليوس) في الهواء مهللاً ..

لكن (أنطونيس) - الذي اهتزت شباك فريقه - صاح في غضب :

- « أنت ضربت حارس العرمى عدداً قبل أن تصوب لكرة ! »

- « لم يحدث .. أنت أعمى ! »

- « وأنت كذاب ! »

وهنا نهض حارس العرمى (إلياس) وهو يثب على ساق واحدة :

- « هذا ليس هدفاً صحيحاً »

- « بل صحيح ! »

- « ليس ! »

- « صحيح ! »

وسرعان ما التهبت النفوس ، فالتقطض (فاسيليوس) على (إلياس) .. هب (أنطونيس) يساعد حارس مرماه ، وسرعان ما تحول الملعب إلى كتلة متلاحمة من أجساد الأطفال الذين يتبادلون الركلات والعص والصراخ ..

ومن النافذة ظهر وجه السيد (ساماراكس) .. طبعا هو عكس النور فلا ترى إلا السلويت الخاص به ..

كان حازما ، لكنه كان يفضل أن يترك الصبية يمرحون خارج ساعات الدراسة .. إلا أن مارآه من النافذة كان يفوق الوصف .. خاصة والصراخ يعزق أعصابه ، وهو لم يتحمل الصراخ في حياته .. كان يؤمن أن كرة القدم مجرد تنكر لأحط الغرائز السادية البشرية .. فقط كانوا يهللون منذ ألفى عام بينما الأسود تثتهم المسيحيين في الأريلا Arenas .. الآن يهللون بلا أسود .. لكن النتيجة واحدة ..

صاح بأعلى صوته حتى أوشك الوريضان على جاتبي رأسه على الانفجار :

« توقفوا !!!!!!! ! أمركم بهذا !! »

لكن أحدا لم يبال به أو يسمعه ..

عاد يصرخ وقد ازداد جنونا :

« قلت لكم توقفوا يا حمقى ! »

لكن الأطفال لم يبالوا به قط .. ولم يكن (ساماراكس) ممن يطبقون أن يستخف بهم أحد ..

في التاسعة مساءً انفجر كل شيء ..

(مندوريس) اقتحم الحانة وسط العيون المذهولة غير الفاعمة ، وراح يطلق النار جزافا فيسقط من يسقط .. لم يعد أحد يتكلم عن الحكم الملكي ولا الحكومة العسكرية .. لقد تحول كل شيء إلى صرخة عالية مندهشة ..

وفي الوقت ذاته تبادل (بالامس) وزوجته الطغرات .. يبدو أنها صارت قوية كالثيران البرية بعدما جلدتها بالحزام .. وسقط الاثنان خارج الباب المفتوح كأن انفجارا أطاح بهما ، وقد خشي الجيران أن يلمسوها لمدة عشر دقائق كاملة ..

بينما أفرغ (ساماراكس) خزينته مسدسه في الطلبة الذين يلعبون في فناء المدرسة ..

هبّت ريح عاتية من الغرب .. لكنها قابلت ما أثار شهيتها .. هناك حريق .. حريق في دار أو دارين .. إنها أيام توزيع البريد الجميلة قد عادت ! كثير من المرح هنا ! وسرعان ما كانت الريح تنقل جذوتها إلى أكثر من بيت ..

فى الوقت نفسه ماتت الصغيرة (تانيثا) وقد اشتدت بها الحمى ..

أما ذروة السيمفونية فكانت عندما أغلق ذلك المعنود الدائرة الكهربائية .. و ...

بوووووم !! دوى الانفجار الرهيب فى الحانة وبناية البلدية والنادى التمسلى .. واهترت البلدة كلها من الرعب أكثر منها بسبب الانفجار ذاته ...

وهوت بقايا الانفجار أرضا فتلقفتها النيران القادمة من الغرب ...

وفى السماء لم يعد أحد يرى قرص القمر ...

لقد غطى الدخان كل شيء ..

فيما بعد كان هذا القمر المكتمل هو المتهم الرئيسى فى القضية .. إن سلوك الإنسان العدواني الجنونى يتزايد مع القمر المكتمل .. وهذه حقيقة عرفها العلماء من زمن ..

فيما بعد - وكما يحدث عندنا فى مصر - قضت الصحف أياما عظيمة مع وصف الحدث وتحليله ، وتكلم آلاف طماء النفس والجريمة عن تأثير التلفزيون على الشباب ، وتأثير

الشباب على التلفزيون ، وتأثير عادة حك الألف على الإزهاصات الأيديولوجية اللائكية لنظرية (لامبروزو Lombroso) خاصة مع المزيد من الديالكترك والجشطلت .. فى النهاية لم يفهم أحد شيئا ، ولم يعرف أحد شيئا ، وصار بوسغا أن نغلق هذا الملف ..

2- العائد ..

كنت ساهراً أشاهد فيلم (ليلة الموتى الأحياء) للمخرج المشاغب (جورج روميرو Romero) .. ألم أخيركم ؟ لقد ابتعت جهاز (فيديو) فى وقت كانت فيه هذه الأجهزة نادرة فى مصر ، وهو جهاز عجيب يشبه التلوت فى الحجم والشكل والأصوات المنبعثة منه ليلاً .. وكانت شرائط الفيديو وقتها من حجم كبير ، حصلت عليها من الخارج مباشرة ..

يقول النقاد السينمائيون إن هذا الفيلم يمثل بالحرف (كيف تتلهم أمريكا نفسها) .. الموتى يغادرون قبورهم بلا سبب ليأكلوا الأحياء .. هذه فكرة الفيلم أما باقى الفيلم فهو قيامهم بهذا العمل .. جنون عام وفوضى ومذبحة دموية بلا آخر .. الناجى الوحيد يقتل لأنه بدأ لفرق الإنقاذ كأنه زومبي آخر .. هذا الفيلم ما زال يعرض حتى القرن الواحد والعشرين فى الولايات المتحدة ، وأصاركهم القول إنه آثار هللى^(١٤) .. برغم انسجامى الواضح مع الرعب ، فإن الرعب الذى أتحملة وربما أحبه هو رعب (الجو) .. رعب التلميح بالشيء لا إظهاره ..

(*) ليس هذا هو ذات الفيلم الملون الموجود الآن بنفس الاسم ..

الفيلم الأصنى إنتاج 1968 .. أبيض وأسود وكتب جداً ..

ثم - لحظة من فضلك - ما الذى يعرفه هذا المخرج أو سواء عن هذه الأمور ؟ هو لم يضع خمسين عاماً من عمره فى هذا الهراء كما فعلت أنا ..

كنت على كل حال فى ذروة التوتر مع أحداث الفيلم ، حين دق الجرس ..

إنها للثالثة بعد منتصف الليل .. وبما أن (عزت) مسافر فلتقدم مسخ .. معادلة بسيطة جداً أجراها عقلى المكدود ، ثم لم ألبث أن عدت إلى صوابى شاعراً بالخجل ..

هرعت إلى الباب أسأل من الطارق وأنا أعرف أنه لن يجيب ، لكنه أجاب ..

إنه (عزت) .. غريب هذا ..

كان (عزت) فى اليونان من عشرة أيام .. يبدو أن هناك مهرجاناً ما يحمل اسماً على غرار (البيئلى العاشر للتحاين المراضى عقلياً) قد دعاه فلبى .. وكان (عزت) يتعنى أن يتمكن بشكل ما من البقاء فى اليونان بعد المعرض للأبد .. إن عدد العرب هناك أكثر من اليونانيين ، ويبدو أنه كان يبحث عن فرصة من التى يبحث عنها ألوف فلا يجدونها ..

الجديد هنا أنه عاد ، وأنه لم يطق صبراً حتى الصباح

كى يراى ..

رجبت به بحرارة ودعوته للدخول .. اعترف أنني أحب
هذا الفتى وأنه من القلائد الذين لا تضايق لدى رؤيتهم في
أية ساعة من اليوم ..

جلس (عزت) وراح يحكى لى فى مرج عن تلك الأيام
هناك .. وهى قصص سئمتها أولاً لأنسى رأيت اليونان
مراراً .. ثانياً لأنها ذات القصص التى يحكيها كل مصرى
من الخارج .. لا بد من قصة الكاميرا التى نسيها على مقعد
الحافلة ، وظلت هناك لم يمسه أحد بعد تسع سنوات ،
وحتى وجدها هو .. لا بد من قصة قشور الفسق التى كان
يقيها فى الشارع ، فوجد رجل الشرطة قد جمعها كلها فى
قبضته ، وجاء خلفه ليشرح فى تهذيب إلى أقرب سلة
مخملات .. لا بد من صورة أو اثنتين مع شقراء اسمها
- دافنا - هو (لورا) التى يكت كثيراً ساعة الرحيل .. طبعاً
يتضح فيما بعد أنه لا يعرفها ، وأنها كانت تعبر الشارع
حين استوقفها وظن أن تسمح له بهذه الصورة معها ؛
ليراها الحمقى عتفاً ..

أحياناً أحسب أن من يحكون هذه القصص لم يذهبوا لأى
مكان ، وإنما ألفوها وهم جالسون على المقهى فى
(شبرا) ..

سأنته عن تطابعاته عن الآثار اليونانية ، فلم يبد
متحمساً .. قال لى إنه احضر بعض أشياء لكنها ليست بذات
القيمة ..

- « نعى أنك اشتريت آثاراً إغريقية حقيقية كمنكر ؟ »

ضحك كثيراً وهتف مصححاً :

- « بالطبع لا .. تكلم عن التكررات المزيفة .. مثل التمثيل
الذى تنتجها أية ورشة فى الأكصر .. ألف قطعة فى اليوم .. »

ثم نظر إلى ساعته وهتف :

- « الرابعة صباحاً .. وقت مناسب جداً لزيارتى .. تعال
بى شقى لترى ما جلبته .. ثمة أشياء تهتك .. »

* * *

يقول أنا أحب زيارة الناس فى الرابعة صباحاً ..

كانت شفته فى حال أسوأ من المعتاد طبعاً ، فإني أحذا لم
يعن بها منذ سافر .. دعك من حالتها السيئة قبل سفره
أصلاً .. وكانت حقائبه فى كل صوب .. بعضها مفتوح
ويصعب مغلق .. ثمة لفافة جريدة مفتوحة بها بقايا شطائر
قول وطعمية ابتاعها كعشاء أثناء عودته من المطار ..

رقى قلبى لحاله .. هذا قدر من يعيش وحيداً .. فلا توجد
أم عجوز تبكى بحرارة وتعد له أطياب الطعام لدى عوبته ،
ولا زوجة تضى بحلقائه وتفتش جيوبه بحثاً عن أشياء
مربية ، ولا أطفال يملنون العنان صراخاً .. إنه لشخص
مستكين ، إن ...

ثم تذكرت أن هناك واحداً آخر يعانى الظروف ذاتها ،
لكنه اعتاد ألا يرثى لنفسه .. أنا ! ..

راح يريتى أشياء وأشياء مما جنبه .. كلها تفاهات على
كل حال ..

ثم راح يعرض على طناً من الصور الفوتوغرافية ..
وتوقف أمام صورة له وهو واقف أمام البحر ينظر لعسة
الكاميرا فى حزن وتأمل ، وجواره فتاة يونانية شقراء ..
وقال متأثراً :

« لقد قرأت دمعا حاراً عندما أخبرتها أننى لن أبقى
فى اليونان .. »

قلت بلا ميلالة وأنا أنتقل بصورة أخرى :

« إن (لورا) فتاة طيبة .. والآن ماذا عن ... ؟ »

هتف فى حيرة :

« اسمها (إيفيتا) .. ولكن لماذا استعنت بهذا الاسم ؟ »

تجاهلت إلحاحه وواصلت تفقد الصور ، وفى النهاية
تأملت وأعنت أن موعد لومى قد حان ..

« ليس قبل أن تأخذ هديتك .. »

وطبقاً كنت أتوقع ما أحضره .. لم أكن مخطئاً على
الإطلاق .. مجلة يونانية سياسية سميكة خالية من الصور
تقريباً ، والأهم أنه لا يوجد فيها حرف بلغة أستطيع
فهمها .. أبدت تأثرى فأشرق وجهه فى سرور :

« أنا أفهمك تماماً .. ثقى بى فى هذه النقطة .. »

وهكذا أخذت المجلة شاكراً وتهضت .. كانت مشكلتى
دائماً هى العثور على ورق جرائد جيد يتشرب الزيت الناتج
عن قلى البطاطس دون أن يلوث البطاطس نفسها بالبحر ..
لقد حلت مشكلتى أخيراً ..

قال وهو يودعنى على الباب :

« غداً تذهب لها فى الفندق .. »

قلت فى دهشة :

« من ؟ »

- « (إيفيتا) طبعاً ! ألم أقل لك إنها فضلت أن تأتي معي إلى مصر ما دمت لن أبقي معها في اليونان ؟ »

أصابني الذهول ..

لقد اعتدت أن أكون على صواب في كل مرة ، حتى صار هذا لا يطلق .. يبدو أنني ألعب دور الأحمق الآن على سبيل التخيير ...

3- إيفيتا ..

بالطبع يمكن أن أصف لك (إيفيتا) التي كنت أعتقد أنها (ثورا) .. لكن هذا تحصيل حاصل .. كل شخص يحمل في ذاته تصوراً مثالياً للجمال خاصاً به وحده ، وهناك أجانب يطلقون جوار سريرهم صورة (مارجريت تاتشر) المرموعة باعتبارها تمثل القوة الأعلى للجمال ..

الحقيقة أن (إيفيتا) هذه كانت نموذجاً للجمال الذي يقف على الأرض المشتركة بين البشر جميعاً .. هات قلائد من وراء تورجه ليراها .. سوف يصرخ في ذهول (يا بوي !) ويطلق يداها على الأرض .. هات لورداً من ريف (ويلز Wales) وسوف يعجز عن الكلام ، ويسقط رماد المسيجار على منبرته الفاخرة .. سوف يلوح متوحشوا أستراليا البدائيون برماحهم ويقذفون البوميرانج Boomerang في الهواء ، وسوف يشعل الصينيون شموعهم وينفون الأجراس ، بينما ينبخ الأعرابي ذاكته وينظم قصيدة من الشعر (النبطي) تعبر عما يشعر به ..

الحقيقة أن اسم (إيفيتا) ومعناه (حواء) لم يكن اعتباطاً .. لقد كنن أبوها يعرف ما يفعله بالضبط حين ذهب لمكتب

تصحة في (تينا) .. هذا لو كانت عندهم مكتب صحة طبعاً ..

أما السؤال المهم هنا فهو : ما الذى وجدته (فينوس) المعاصرة هذه في (عزت) ؟ ليس السؤال وليد غيرة .. أنتم تعرفوننى بما يكفى .. بل هو وليد فضول لا يمكن فهمه .. من يدري ؟ ربما كان (عزت) أكثر ظرفاً ومهنية من قطباعى العالم عنه ..

على كل حال .. كما قلت .. قابلناها في الفندق الذى قررت الإقامة به على حسابها كي لا تكلف (عزت) مليماً .. كان التعرف سريعاً ، لأن (عزت) كلمها على كثيراً .. وكانت تجيد الإنجليزية .. وفهمت أنها رسامة . هذا يفسر كيف التفتا على الأكل ..

لم يفتها (عزت) لكنى فهمت أن مشكلته هي الطيور على سائق خصوصى .. وهو دور لا أرحب به طبعاً ، لكنى أقبل القيام به هذا اليوم فقط ..

وهكذا رتبت لها برنامجاً يناسب جداً شخصاً يريد أن يرى القاهرة في يوم واحد .. متحف مصرى .. قلعة .. نيل .. أهرام .. برج القاهرة .. ربما يتسع الوقت لخان الخليلي ليلاً ..

طبعاً لم أستمع بحظوة .. إن التعامل مع هذا الجمال الباهر مشكلة ، فأتا أمقت نفث الأناظر .. تعرفون أننى

أتمنى ألا أموت في الشارع فقط كي أتحاشى زحام القضاة .. أما والحال كذلك ، فقد بدا لى أن مظاهرته تمنى وراعنا في كل مكان ..

وأشفت على (عزت) .. لا أعرف إن كان يمتنى الزواج منها أم لا ، لكن معرفة فتاة بهذا الجمال يحتاج إلى أن يكون المرء (ستيفن سيجل Seagull) على الأقل .. لم يكن قد ظهر في ذلك الوقت - من أجل ألف مشاجرة ستشرب بسبب هذا الشاب الوقح أو ذاك .. ليس الأمر بهذه السهولة ، ولربما كان من الأكثر راحة أن تمضى وقتك مع حيوان (ولفرين Wolverine) مهذب أو أي دب قطبي يحترم نفسه ..

وهكذا قررت التخلص منها - ومنه على الأرجح - في أول فرصة لا أبدو فيها وقحاً أو نذلاً ..

عندما جاء المساء ودعناها ، وعدنا إلى التباينة التي يقطعها كلانا ..

هذه المرة دعاني إلى شقته ، وأعد لنا بعض الشاي المقرز ، ثم قال وهو ينتظر رأبي في ثوبه :

« ما رأيك ؟ »

وأنا أعرف أن كلامي في أغلب الظروف لا يطلق .. لهذا
قابلت سؤاله بسؤال آخر :

- « المهم رأيك أنت .. ما هي خططك ؟ »

بدا عليه الغياء وقال :

- « خطط ؟ هل لا بد من خطط ؟ »

- « زواج مثلاً يا أحمق .. »

فكر من جديد .. أحياناً أشعر بأنه طفل .. يلجأ بأشياء
غريبة طيلة الوقت .. لكن الأمر ليس بهذه البساطة .. هو
كذلك يتعشى أن يتزوج هذا الجمال لكنه يهابه ..

لهذا قررت أن أرفع مغوياته :

- « نحن متفكران على أنك مخيف المنظر ، متقدم في
العمر .. يترك كل من يراك أنك مصاب بمرض عضال .. دعك
من أنك لا تستطيع الحياة من دون جرعات (الكورتيزون)
هذه .. لكن لا بد أن هذه الفتاة قد وجدت فيك ما يروق لها ..
أعترف أنني لا أملك عينيها ولا أرى فيك شيئاً خاصاً ، لكن
هذه مشكلتها على كل حال لا مشكلتك .. ولا أرى ما يمنع
من أن نتقن بنفسك برغم أن هذه الثقة لا أساس لها .. »

كان هذا رقيقاً كما ترى ، فأتانا أكون فصيحاً معبراً حتى
تصد الكلام الرقيق .. وقد سمعت عيناه تقرأ .. إلا أنه أضاف :

- « أريد أن أكون بقربها طيلة الوقت ، لكنني لا أملك
تشجاعة الكافية كي أحتكرها .. أنت تعرف هذا الشعور .. »
كنت في تفك صبر :

- « هذا جميل .. فلماذا تركتها تأتي إلى مصر إذن ؟ »

- « إنها سبعة .. هذا من حقها .. ستتهين زيارتها لمصر
ثم تعود .. لا مشاكل .. »

بدا لي الأمر عجيماً .. فجأة تقرر اللحاق به في مصر
لتقوم بالسياحة .. ثم يتوقع - الأحمق - أن تلك الفترة لن
تقوى عاطفته نحوها ، ولن تجعله أكثر تشبهاً بها .. لقد كان
الفرق عسيراً حين كان في التوتان .. أما الآن في مصر
فلسوف يكون مستحيلاً .. يصدق عليه بيت الشعر الرقيق :

عجبت حين تركتها كيف لم امت ..

وكيف اتلثت بعد الوداع يدي معي ..

على كل حال نجحت - بشيء من اللطف - في التخلص
منهما وعدت أمارس حياتي العادية .. لا أبالغ لو قلت أنني

نسيت هذه القصة تماماً فلم أجد أذكرها إلا عندما سمع المفتح وهو يدور في قليب المغاليل لشقى .. لقد عدت (عزت) ..

على أن أشهر العمل لا تنوم .. لقد نسيت (إرادة التكد) إلى عائلتهما .. و (إرادة التكد) هذه هي الاختراع العبقري الذي أرغب إضافته باسمي إلى مؤلفات (فرويد Freud) الذي وصف إرادة الموت قبل هذا .. صديقان أو حبيبان راضيان عن الحياة يضحكان .. هنا يتذكر أحدهما ما فعله الآخر من عشرة أشهر .. أنا لا أريد أن أتعيب دور (غراب البين) ، لكن كيف سولت نفسك أن تفعل هذا ؟ ما زلت عاجزاً عن الفهم .. فيرد الآخر في لامبالاة .. ثم في حدة .. الأمر الذي لا يتوقع الأول .. وهكذا .. وسرعان ما يتحول المشهد إلى مصارعة ديكية .. ولأسباب كهذه يقول المصريون بعد ضحك طويل : اللهم اجعله خيراً .. لأنهم يكرهون أن يضحكوا دون إضفاء بعض التكد على الموضوع في النهاية .

كنت أقول إذن إن إرادة التكد لعبة قاسية بين (عزت) والفتاة اليونانية .. وقد أوصلتها ذات مرة إلى القناطر الخيرية ، فلاحظت أنهما لا يتكلمان تقريباً .. كما لاحظت أن

الفتاة قد اتخذت تعبيراً من (الاستعناط) معاً اللغز نحن ، ونحن نريد التشجار فلا يمنعها من قضم أذننها (لا أنها لا تستطيع أن تبغها بأنفسها ..

كنت لنفسى : أول الغيث قطرة .. حزنت من أجل (عزت) ، لكنني قدرت أن هذا قد يكون حللاً سعيداً لوضع لاجل له .. شأنه شأن رجل نزلته ساقه ثم ذات يوم يفقد في حادث ! لقد ولت مشاكل الساق والساق نفسها !

ويبدو أن الأمور تصاعدت في الآونة التالية .. لكنني لم أحول التدخل .. لن أتدخل إلا لو طلب مني ذلك ..

جاءني (عزت) ذات يوم في العاشرة مساءً ، وقال :

« أعتقد أن الأمر انتهى عند هذا الحد .. »

ثم اندمش كثيراً ، لكنني تظاهرت بذلك ، وسألته :

« هل يضايك أن تتكلم ؟ »

راح يجوب الغرفة في عصبية كثر حبيس ، ثم أخرج لفافة الملح ليأها من جيبه و (سفا) بعضه .. وهي العادة التي تميز مرضى قشل القدة فوق الكلوية كما قلت مراراً ، وهكذا صار أكثر قدرة على تحمل الإفعال العصبي والجسدي ..

وقال بصوت مبحوح :

« إنها شاة جميلة .. وهي تتوقع أن تجرني معها إلى
 ذات المنحنيات الوعرة التي لا تخيف الشباب بينما تخيفني
 أنا .. طفل شقي يرغب في تجريب أرجوحة خطيرة .. وهو
 مصر على أن يجربها وأن يصحب معه أباه المصائب
 بارتفاع ضغط الدم وضيق شرايين القلب .. الأب لا يريد
 تجربة الأرجوحة .. وكذلك لا يريد أن يجرب ابنه هذه
 الأرجوحة الخطرة هذه .. »

سألته وأنا ألوك ما بقي من حشاء في طبقى :

« هل تعني أنها أخذت إلى الملاهي ؟ »

.. « أتحدث بلغة المجاز يا (رفعت) .. هي تريد أن
تجرب في الشارع وأنا لا أجوز .. هي تريد أن تفتش تحت
الماء وأنا لا أتحمّل رؤيته .. هي تريد أن نذهب - بلا مال -
ننرى العالم وأنا لا أعرف موضعاً أبعد من الإسكندرية
ولا أنوى ذلك .. قس حتى هذا كل شيء .. والنتيجة أنني
أصبح من القوم لا يقول : لا .. حتى السماء .. »

طبعا هذه التفاصيل متوقعة جداً .. إن حالته غريبة هي خليط من حب كهل لغناة صغيرة .. وحب شرقي لغربية .. وقد اعتدت أن أبحث عن التناقض في أي شيء في العالم .. لا تنافق .. أسف .. لا أتوقع أي نجاح ..

مَنْعَهُ وَأَنَا لَجَعَلِ الطَّيِّبُ إِلَى الْمُطْبِخِ :

«... من ممل مناك شيء أفعله؟ أنا لا أمك حلوًا لكن
توطينت شيئًا لفعله بشكل آلي...»

فتی فی ضیق :

.. لا .. لها أمّاس نوغما من (التفضضة) لا أكثر ..

« حسن .. أنت قلت إنها ستعود لباركها وينتهي الأمر ..
 متى يأتي هذا الموعد الموعود ؟ »

« لا أعرف .. لقد مضت فترة إقامتها .. لاحظ أنها لا تكلفني
شئاً ، إنها تتولى نفقاتها بنفسها .. »

فَكَتَبَ لَهُ وَلَئِنَّا مُخْلِوْنَ لَهُ

« .. ثيكن .. إذن حاول أن تبقى بعيداً لفترة .. هكذا لن تحدث مشاكل جديدة إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً .. »

والفق علی مضض .. لم یکن یوسعه شیء ..

ومرت ثلاثة أيام أخرى ، ثم عرفت أن (إيفيتا) عائدة
إليها ..

لمرحت عيني في دهشة ، وقد تكررّت القصة من جديد .. أقم
تعد بعد ؟ على كل حال لقد حان الوقت لهذا اليتيم (عزت)
كي يكف عن الصراع النفسي قليلا .. حان الوقت كي يستقر
ويعود لصنع تلك الأشكال المعقّية التي يصنعها ..

سوف يتعافى (عزت) سريعاً .. ربما أسرع مما أتوقع ، وقد احترمته لهذا .. أحب القوم الذين لا يعتبرون مشاكلهم نهاية العالم ، ويتوقعون أن يحدث كسوف شمسي أو جفاف أو أن يزحف التصحر إلى شمال إفريقيا ، لمجرد أنهم يشعرون بإحباط عاطفي ..

سوف يسهر كثيراً جداً ويسألك من شطائر (الطعمية) ، ويشرب أكواباً عديدة من الشاي الساخن الثقيل .. وسوف يصاب بقرحة معدية فيعتقد أن الآلام التي يشعر بها هي (آلام الفؤاد وتهاريج الهوى) .. ثم لا يلبث أن يشفى من هذا كله فيشعر بالرضا عن الحياة ..

لكنه سيكون على مايرام .. حتماً سيكون على مايرام ..

★ ★ ★

حسن .. لم تكن هذه النهاية .. ولا حتى بداية النهاية كما كان يقول الخواجه (تشرشل Churchill) للبريطانيين الذين ظنوا أن الحرب العالمية الثانية انتهت في (العلمين) ، فقرر أن يصيبهم ببعض الاكتئاب ..

كانت نهاية البداية ---

★ ★ ★

4- هدية متأخرة ..

لا أكر أنتى تضايقت نوعاً لكونها سترحل دون كلمة شكر أو لفظة وداع .. من الطبيعي أن تتوقع أنك تركت في نفس الناس شيئاً أكبر من كونك مجرد سائق خصوصي .. لكنى على كل حال قدرت أنها متضايقه ، والظرف لا يسمح بتمزيد من العجاملات ..

إلا إنها لم تمننى كما ظننت ..

لقد جأني (عزت) في السابعة مساءً ، وقال :

- « إنها عندي .. وهي تريد أن تودعك قبل أن ترحل » -

لا أكر أنتى تأثرت لهذه اللحمة من الرقة .. وارتدبت ثيابي مسرعاً ثم اتجهت إلى شقة (عزت) .. كان الباب مفتوحاً ، وثمة فوضى عامة .. على قدر علمي هذه أول مرة ترى فيها الفتاة البائسة مخزن الخردة هذا ، وقدرت أنها بعد ماراته لن تفكر مرة أخرى في الموضوع .. من الصعب أن يتزوج المرء خريفاً حتى لو هام به حباً ..

كل شيء يوحي باستعدادات الرحيل ، لكن حقائبها لم تكن معها طبعاً .. كانت في سيارة تنتظر على باب البناية ..

تري علام اتفاقاً؟ يبدو من الجو الغام للمشهد أنهما اتفقا على الفراق كصديقين متحضرين ..

كانت تقف هناك في ذروة أنفاتها وفنتتها .. وأشرق وجهها حين رأته ، فقلت لها بتعذيب :

- « فقط أمل أن تكوني قد أحببت مصر .. »

قالت في مرج :

- « بلاد رائعة .. إن العلاقة الغامضة التي تربط اليونان بمصر لا يمكن فهمها أو تفسيرها .. ليست أول من قال هذا .. الإسكندر الأكبر Alexander شعر بهذا من عدة قرون .. لا أعرف إن كنت رأيت اليونان ياد. (رفعت) من قبل ، لكني أتمنى لو رددت لك المجاملة يوماً ما .. »

كنت أحفظ اليونان حجراً حجراً .. لكن ذكرياتي هناك لم تكن باسعة إلى هذا الحد ..

أشارت إلى حقيبة من البلاستيك موضوعة على المنضدة ، وقالت في مرج :

- « لما كنت أنت مهتماً بالأسرار إلى هذا الحد ، وقد كلمتي (عزت) عنك كثيراً ، فإني أحضرت لك هدية صغيرة .. »

شعرت بحرج .. لا يبدو أن هذه الحقيبة تحوى بقية أعدد المجلة السياسية اليونانية إياها .. هذه هدية لها طول وعرض وارتفاع .. هدية تشغل حيزاً من الفراغ .. لهذا رحبت لئلا كلمات علي غرار (قفا .. هم .. أمس .. لا ..) ..

قلت بلهجة عالية :

- « المشكلة هي أنني لا أعرف محتواها ولا أستطيع أن أقطع برأى .. »

هدية لا تعرف محتواها؟ ما معنى هذا؟ لقد بدأ عهد المقلاب الطفولية إذن ..

مدت يدها في الحقيبة البلاستيكية ، وأخرجت صندوقاً معنياً .. صندوقاً اعتقد أنه ثمين وأنه ثري .. هل تعرف تلك (اليونونية) المسخيفة التي تجدها في صالون كل بيت مصري ، والتي تمتلئ بليونيون للزج كربة مذاق؟ هلم .. لا بد أنك تعرفها .. يوشك الأمر أن يصير نوعاً من مكملات طقوس الزواج ، وكان الزواج لا يصير شرعياً إلا بعد شراء هذه الخطة القبيحة .. كان هذا الصندوق يماثلها في الحجم ..

قالت لي وهي تضع الصندوق على المنضدة :

- « هذه جئت بها من اليونان .. »

سألتها في شغف :

- « هل هي أصلية ؟ »

- « لا أعرف .. »

- « وأين وجدتتها ؟ »

- « هذه قصة تطول .. »

- « ولا تعرفين محتواها ؟ »

ضحكت في دلال وقالت وهي تريت على المعدن :

- « لا أعرف .. إن لها طريقة للتج لا أعرفها .. هناك

احتمالات لا بأس بها لما يمكن أن تجده بالداخل : مجوهرات ..

ذهب .. يورانيوم 235 .. عقرب .. ورقة تقول لك : عليك

واحد Gotcha .. أي شيء .. ربما لا تجد إلا الفراغ الخفيف ..

ربما تجد اللغات أو سعادة البشرية .. لا أفهم .. المهم أن

تتمكن من فتحه »

يبدأني الموقف غريباً .. لكنني تذكرت مزايدات معاملة نقام

في الخارج على تلك الصناديق التي لا يستطيع أحد فتحها ..

ربما تجد صرصوراً أو جثة متعفنة أو حفنة من العانس ..

هنا يتم بيع سلعة مبهمة وحيوية هي الفضول البشري ...

هذا لون من المقامرة يشبه ما يقوم به طفل يتنازع عدة
كعكس من ذات الخنوي ، بحثاً عن بطاقة تتيح له كسب
مراصة .. هناك لون من القمار المستر لا يبدو كذلك ، وأنا
أعتبره النوع الأخطر .. ومن يروج هذا النوع من القمار
لا يختلف كثيراً عن ذلك الوغد رفيع الشارب الذي نراه في
أفانينا العربية ، والذي يكف على المائدة الخضراء ،
ولا يكف عن تردد : باردون يا إكسلس ..

على كل حال أنا لم أدفع مليماً في هذه اللعبة ، لهذا
سأقبلها ..

قلت لها وأنا أحمل الصندوق :

- « هدية مقبولة . سأري ما يوسعني أن أقضه .. »

لكنني قدرت أن الصندوق خال على الأرجح .. ليس ثقيلًا
على الإطلاق ما عدا ثقل المعدن ذاته ..

قالت في دلال وهي تمد لي أطراف أناملها :

- « شكرًا على كل شيء .. »

وتنظرت لساعتها وقالت لـ (عزت) :

- « حان الوقت .. »

هكذا أعلنت أنني سأعود لشقتي ، وحملت غنيمتي التي لا أعرف كتبها وتركت العاشقين اللذين صاروا صديقين ، وأغلقت بابي ..

بعد دقيقتين سمعت صوت سيارة تنطلق .. تسقط في المطب الشهير الذي صار من معالم شارعي ، فهشم مساعداً أو اثنين كالعادة .. ثم تواصل طريقها نحو اليونان .. مطرة .. نحو المطر ..

في البدء وضعت الصندوق على المنضدة في صالة داري .. أقم تعرفون تلك المجموعة المرعبة من تماثيل (لزولو Zulu) التي لا أجد الشجاعة كي ألقها في القمامة .. لكنها تبث الرعب في قلب كل إنسان يراها حتى أنا نفسي .. ذات مرة تلقى الأديب العظيم (تشيخوف Chekhov) هدية مماثلة هي تماثيل كلب مخيف بارتفاع الإنسان .. وكانت هذه الهدية تثير الهلع في نفسه كلما نسي وجودها لفترة ، لكن قلبه لم يطاقه قط على التخلص منها ..

المهم أنني وضعت الصندوق هناك وجلست أتأمله في ضوء الصالة الأبيض ..

لا أفهم أنواع المعادن ، لكنه صنع من مادة ثقيلة .. وإن عشت حياة صاخبة كما يبدو لأن هناك نقوشاً زالت تماماً مع الزمن ، كما أن هناك كتابة يونانية لا يمكن استخلاص شيء منها ، والكثير جداً من السحجات والأبعاجات كقته تنقض ضربات لا بأس بها بمطرقة ..

ولكن كيف يفتح هذا الشيء ؟

هناك ثقب مفتاح لكن المفتاح ليس معي .. إذن لا جدوى من المحاولات الغبية .. في الصباح سأأخذه لمن يقتصبه اغتصاباً .. أعتقد أن هناك حداذاً ملاسماً في ...

هذا الصوت ؟

أصغيت أسمع فلم يحدث شيء .. خيل لي أن صوتاً يأتي من ناحية الصندوق ، لكنه تعرف الأعياب الصوت هذه .. حين تركز على شيء ويأتي صوت من الشارع ، فتتخيل كقته يأتي من الشيء ذاته ..

هناك قطة تعوي في الشارع .. هذا كل شيء .. صوت (داوودود) الجفجفي يتردد لكن لا أحد يلبس ..

وهكذا نسيت كل شيء عن الصندوق ، وعدت لأمرس طوقس حياتي ..

عاد صوت الأتنين والعواء يتكرر عند منتصف الليل ..

هذه المرة لم يكن في الصوت أى شيء من (داوود) ..
ولهذا قررت أن ألقى نظرة أقرب ..

إنه من خارج الشقة ..

فتحت الباب ووقفت أصغى ..

هو أنت من شقة (عزت) .. انتصب الشعر الباقى على
جانبيه رأسى .. هذا الصوت لا يوحى إلا بشيء مقبض
رهيب ..

هكذا جريت وبقفت يايه .. ووقفت أحاول أن أستجمع
دقات قلبي التى تبعثرت ..

انفتح الباب فرأيت .. هذه المرة فهمت كل شيء .. عندما
يحزن (عزت) فإنه لا يتأثر أو تسمع عناه كباقي البشر ، ولكنه
ينفجر في عواء مريع كما يقتلني رعباً .. عواء لا يستطيع نخب
لشهب أن يطلقه فوق قبر في صحراء (موهظى Mojave) ..
وهكذا دخلت ورحلت أهدئ من روعه :

« اخرس قليلاً .. يالك من أحمق ! أنت معتوه تماماً ..
كنت أعتقد أن عقلك تعدى خمس السنوات لكن .. ولكن ..

لا أذكر أنها رائعة وأنت فقتت الكثير .. فقتت كل شيء فى
الواقع ولكن يجب أن .. »

يبدو أنه تملك فترة طويلة منذ عاد من المطار ، ثم
رأى الحقيقة فجاء .. إنه وحيد منيود تنتظره أعوام طويلة
من الوحدة .. لا شيء يؤنسها إلا تماثيله العجيبة وجاره
غرب الأطوار .. هنا فقط الفجر ..

قال من بين دموعه التى تسيل من كل فتحات وجهه :

« كانت تحبلى .. ألم تتبين هذا معي ؟ لو اننى كنت
أكثر مرونة أو ربما هى .. لربما لو ظننت فى اليونان إلى
الآن .. هل ترى هذا معي ؟ أنت صديق عزيز .. بالفعل أنت
صديق عزيز وإننى لسعيد الحظ أن .. »

كنت أعرف هذه الأعراض .. انفجار عاطفى .. عندها
تختلط الأمور .. هو يحبها بجنون .. أنا صديق عزيز ..
الحياة رائعة . الناس طيبون .. ثم .. لا .. الحياة قاسية ..
أريد أن أموت .. إلخ ...

هكذا ظننت معه حتى غسل وجهه ووعد بأن يبدأ قليلاً ..
سينام مبكراً اليوم .. كلا .. لن يفكر فى هذه الأمور .. لن
يقتل نفسه برغم أن كل شيء متاح هنا ..

هل أمضى الليلة هنا ؟ ربما كان على أن أراقبه جيدًا فَمَا
لا ألق بالأنشخاص المشرقيين في عواطفهم .. إنهم يفعلون
أى شيء فى أى وقت ..

لكنه أصبر على أن أستريح فى داري ، وهكذا غادرته
أسفًا .. إن السعادة معنى مراوغ لا يمكن الإمساك به .. قيل
أن يقابلها كانت حياته أكثر سعادة وهدوءًا .. الآن رأى
لمحة من العالم الذى كان يمكن أن يكون له لو لم يكن سيئ
الحظ .. هذا جعل الحياة الهادئة السابقة وهما .. لن أكف
عن تذكر كلمة (ألبير كامو Camus) عن مشكلة الحياة ..
ليس كونها سيئة لا تطاق ، بل إنه كان من الممكن أن تكون
أفضل بكثير وكان هذا بأيدنا ..

لا أعرف السبب .. لكنى حين دخلت داري جلست لفترة
لا بأس بها أتأمل الصندوق الغريب .. ثم إتنى أحضرت قنسا
ورققة ورجعت أحاول باستخدام مؤخرة القلم ، نسخ بعض
النفوش التى بغيت عليه . هذا صعب لأنه لا توجد كلمة
واحدة كاملة ، لكنى حاولت أن تكون أمينا قدر الإمكان .

هذا الصوت ...

أصقت أذننى بالصندوق .. للمرة الثانية أما متأكد من أنه
صامت كالقير .. لكن القير يصدر أصواتًا فى قصص الرعب
كلها ، وأنا اعتدت أن حياتى كلها قصة رعب طويلة ..

التجيت إلى غرفة النوم وأخرجت حقيبتي الطبية .. أخذت
سماع الحساس ، وبسست طرفيه فى أذنى .. عدت إلى
الصندوق وأصقت الغشاء المتذبذب Diaphragm بالصندوق
ورجت أصغى ...

كان هذا أغرب شعور خبرته فى حياتى .. لا أستطيع أن
قسم على وجود صوت أمام أية محكمة فى العالم . ورغم
هذا لا أستطيع أن أنفى الأمر بقلب سليم ..

هذه درجة معينة من طون الموجة أو ترددها تجعل
صوت صاخبا كالانفجار ، وفى الوقت ذاته لا وجود له ..
هل يوجد شيء كهذا إلا فى الهلوس ؟ لو كان هنا كلب
يحترق نفسه لعرف الحقيقة يقينا ، لكنى لست كليا ولا أسمع
أحد بأن يتهمنى بذلك ..

نقد بدأت أشعر بأننى لا أحب هذا الصندوق كثيرا ...

لا أعرف ما فيه ، لكنى سأحاول التخلص منه فى
الصباح ..

5 - فلنفتح هذا الشيء ..

إنه الصباح ..

لا تحدثني عن الصندوق من فضلك ، فعندى ألف مشكلة
ليمن بينها مكان للصناديق المغلفة التي تتركها فتيات
باحثات عن التسلية ..

على أنني لم أفس برغم كل شيء أن أطلب صديقاً قديماً
هو د. (رمزي) .. أنتم تذكرونه بالتأكيد .. خبير المصريات
المتحمس الذي يظهر كلما ظهرت موميאות غاضبة ..
لماذا هو بلذات ؟ لأنه الشخص الوحيد في ذهني الذي يملك
خلفية عن اللغة اليونانية .. أنا أتكلمها إلى حد ما ، لكنني
لا أجيدها ولا أجيد قراءتها .. د. (رمزي) لم يطالب بتعلم
اليونانية ، لكنه شعر بأنها مفتاح مهم لعلم الآثار .. خاصة
أن مصر عرفت اليونانيين لفترة طويلة جداً من تاريخها ..
(كليوباترا) نفسها يونانية الأصل ..

العمهم أنني اتصلت به كما قلت ، ووعدته في كسل بأن
أرهب الورقة التي تسختها ، فسألني في خمول عن السبب ،
فقلت له في تراخ أن هناك شيئاً ما .. فقال لي ... لا .. لقد
أنهينا المسألة قبل أن تسقط على الأرض ...

وفي البيت مررت على (عزت) كي أدفن جثته إذا كان
قد مات ، لكنني وجدته حياً .. وقد جنس في حزن يلتهم طبقاً
شيفاً بالقول والزيت .. لاحظ أنه استيقظ من نومه حالاً -
وجواره عدد من أرغفة الخبز والثفت المخلل .. يلتهم هذا
كله في حزن مرهف شفاف ..

شكرني على ما قمت به من أفضه أمس ، ثم سألتني عن
محتوى الصندوق ، فقلت :

- « ليس يعد .. »

قال ياسمًا :

- « أعتقد أنها أعدت لك مقلباً ما .. فهي تحب الحب
ولها عقل ثعلب .. »

ثم غلبه التأثر وقد تذكرها من جديد .. وهكذا راح يفرق
أحزانه في المزيد من القول والزيت ..

لم تكن عندي مشاكل في الغداء لهذا اليوم ، لأنني أحتفظ
ببقايا وجبة أمس في الشلاجة .. فلن يبقى أمامي
إلا الاستعداد وتسخين بعض الآتية ..

وهكذا وجدت أن الوقت مبكراً نسبياً - الشقطة بعد الظهر -

وأنا قد أنهيت جدول مسئوليتي لهذا اليوم .. قررت أن أفرس ذلك الصندوق قليلاً .. كنت قد أرعت أن أجرب فتحه مع حذاء .. ثم لا أفعل ذلك الآن ؟

لا أعرف فعلاً ما تنتجه ورشة الحاج (عبد القوي) .. ورغم معرفتي له منذ أعوام لا أفهم نوع النشاط البشري الذي يقوم به .. سوف تدخل ورشة لتجد سنداناً وكيراً وعدة حمال أسود كل شيء فيهم حتى بياض عيونهم .. التجدران لالون لها .. هناك ألف قطعة حديدية .. أقفال .. أجزاء من سيارات .. صواميل لا حصر لها .. جنائز .. الخلاصة أنه يمكنك اقتراض أن هذه ورشة مما ينتج المتفجرات التي كانوا يقتلون بها الإنجليز في أيام الاحتلال .. أو هي ورشة تنتج مستلزمات مواجهة التتبن أو غزاة القضاء .. ولن تتدهش لو خرجت عربة قطار محملة بالقنح من أي ركن ...

أما الحاج نفسه فرجل مسن قوى البنيان ، له عين تلف سوادها من شظية حديد أصابتها يوماً ما .. فيما عدا هذا كل شيء فيه أسود حتى الأسنان ، وهو جالس منذ ثلاثين عاماً على ذات الحقد يشرب نفس كوب الشاي وينخن ذات (المعسل) .. ويلقي نظرات خبيرة من حين لآخر على قطعة معدنية يجلبها له عامل شاب .. فيقول :

- « لا يلس يا (على) .. لكن أعطها (الرجلان) الخاص بها .. »

ولم ثلاثون عاماً حاول فهم هذا (الرجلان) دون جنوى لكن (على) ينصرف ليعطيها إياه ..

طلب اليوم بسيط جداً :

- « أريد فتح هذا الصندوق يا حاج .. »

أمسك بالصندوق بيده الغيظة العملاقة وتحسسه كأنه بطيخة ، ثم قال :

- « يبدو ثميناً يا دكتور .. خسارة .. لماذا لا تجرب صنع مفتاح له ؟ »

- « فات أوان ذلك .. »

هذا أعطى الصندوق لأحد الغلمان وأمره أن يفتحه بأقل قدر من الضرر ، وكان واضحاً على وجه الغلام أنه غير قادر على هذه المهمة : عدم إحداث ضرر .. لقد حمل عددًا هائلًا من الأدوات الفولاذية الثقيلة ، وثبت الصندوق بين شقين (مثزسة) عملاقة وراح يسدد ضربات عنيفة إلى موضع القفل ...

كلنج ! يوم ! كلنج ! يوم !

ضوضاء تصم الأذنين فعلاً .. لكنى قدرت أن الأمر سينتهي سريعاً .. نحن لا نقتحم خزانة مصرف على كل حال ..

راح الحاج بعد رزمة لا بأس بها من أوراق النقد ، ثم صاح دون أن ينظر :

« هل انتهيت يا ولد ؟ »

« لحظة يا أسطى .. لقد .. »

الآن كان قد أولج (رزّة) معدنية تحت الغطاء ، وهي تسمح بفتح شل صغير جداً ، لكن كان عليه أن يطرق عليها بقوة حتى يستسلم الغطاء ..

صاح الحاج (عبد القوى) وهو يضع النقود في جيبه بعصبية :

« يا لك من غلام أحمق .. أنت لست رجلاً .. أنت فتاة تتظاهر بالرجولة .. (إن ... »

وتأطلقت بعض شتائم مهينة للغاية تتعلق بالأدب والألم .. أعتقد أن هذه من أصول التدريب على الخشونة هنا ، لكنى لم أتحملها .. ثم إن الرجل هادئ بطبعه أقرب إلى البرود ، لهذا لم أفهم سر هذه العصبية المفاجئة ..

صاح الغلام في وفاحة أجدها مبررة :

« إياك أن تتلفظ بحرف عن أهلى يا ... »

وبنا لحقت بكلماته سبة أكثر بذاعة .. حتى إقنى وقلت في مكانى مقدهشاً مما يحدث هنا .. كأن دلواً من الماء المشح هو على رأسى .. وقرر الرئيس أن عليه اتخاذ إجراء سريع .. هكذا تمت المعجزة .. للمرة الأولى فى حياتى أرى الحاج ينهض .. وكانت نهضته أسطورية تذكر بدتصاصورات (راي هارى هاوزن Ray Hary Haussen) ذات الحركة المتخشبـة فى الأفلام القديمة ..

عنايه تتقدان نارا .. اتجه إلى الغلام وصفعه ثلاث أو أربع صفعات على وجهه ، وهو يردد بلا انقطاع :

« هل ترد على أيها الـ ... ؟ »

كان رد الغلام أكثر عنفاً ، فقد تناول المطرقة التى كان يحملها وانقض بها على الرجل العمن ، وهو يعوى كذئب جريح .. طبعاً لم يصل الموقف إلى هذه الدرجة لأن واحداً من عمال الورشة اعترض طريقه بساقه فثلقاه أرضاً ، ثم اتهم عليه بالركلات ..

شاب مفتول العضلات ظهر من مكان آخر ، وانقض على

الثاني .. ويبدو أنه يمت بصلة قرى للغلام .. في الوقت الذي ثار فيه الحاج .. فانتقط كوب الشاي وضوح به فوق المتصارعين ..

في لحظة تحولت الورشة الصبور اراضية برزقها إلى حلبة مصارعة .. ولم يعد أحد يعمل .. وفي الهواء تطايرت قطع الحديد باحثة عن وجه عثر لحظ تفكك به .. ذكرني المشهد بمشاجرات الحارة في أفلامنا العربية القديمة ، حين ينهض الجميع فجأة بلا سبب ليحطموا المقاعد على رؤوس بعضهم ..

ومن مكان ما حدث ماس كهربائي ، فاندلع شلال من الشرر يكاد يحرق ما حوله ، وتنبه أحد العمال فركض ليخلق رافعة التيار الكهربائي ..

صحت وأنا أمسك بكفلي الحاج (عبد القوي) ، وهو يتقدم ويجري معي .. كأنني بالفعل أتعلق بدنياصور جريح :

- « كفلي يا حاج .. صل على رسول الله .. قل لصبياتك أن يتوقفوا قبل أن يقتل أحد ! »

نظر لي بعينين تتقدان شرراً ثم أمسكني من كتف أخته .. لم أعود هذا الاعتداء على حدود نطاقى المغناطيسى ، وقتئذ شعرتني هذا بذعر لا حد له ، لكنه قاتل من بين أسنانه :

- « ابتعد عن هنا .. إن هذه أمور لا تخصك .. هذه ورشتي وأحكمها كما أشاء .. »

ثم اتجه إلى (العازمة) وفك الصندوق المثبت فيها وانتزع الرزمة وقال :

- « وخذ هذا الصندوق المنحوس معك .. »

أمسكت بالصندوق بين يدي .. هنا وجدت فيه هذا قليلاً - الحاج لا صندوق - مسح بكفه الخشنة وجهه المبلى بالحرق وشغف :

- « أعوذ بكه من الشيطان الرجيم .. أي جنون نصابنا ؟! »

نظرت ثوراء وأنا أبتعد ، فوجدت أن كل رجال الورشات الأخرى قد جاؤوا ليوقفوا القتال ، وكان قد بدأ فعلاً حتى أنني لم أر داعياً لاستدعاء الشرطة كما كنت أنوي .. من الواضح أنك أنه لا توجد بقاء .. لكن الجروح النفسية غيرة بلا شك ، وإن تشفى بسهولة .. اللحظة خرج مارد الكراهية من قمقمه ، ومن الصعب أن تتظاهر بأنه عاد إليه ..

لا أذنب لى فيما حدث ، لكنى ابتعدت لى خجل حتى تواريت فى سيارتى ..

كان الصندوق سليماً وبحال جيدة ..

لقد ازدادت السحجات عليه ، لكنه سليم ومعتق .. ربما لو انتظرت أكثر لاستطعنا فتحه ..

وقد رحلت أفتبه بين يدي .. لا أعرف ما أفعل به حقاً .. قلبي لا يطاوعني على التخلص منه في القمامة فلربما كان محتواه ثميناً فعلاً ..

نظرت في ساعتي .. إن الظلام يتو بسرعة .. وقدرت أن بوسعي أن أمر على دار د. (رمزي) لاستشارته ، لكنني أولاً أرغب في شراء بعض الأشياء التي يحتاج إليها البيت .. يمكن أن أتركها في السيارة وأنا أזור د. (رمزي) ..

كان هناك شارع مظلم به مكان لا بأس به للانتظار أمام بناية .. هناك أوقفت السيارة وترجلت ، ووضعت الصندوق تحت المقعد .. ثم خرجت إلى الشارع الرئيسي حيث كانت تلك البقعة المعلقة .. لم تكن مصر قد عرفت اختراع (السموبل ماركت) بعد .. أشياء كثيرة تغيرت من حينها .. لو سألت ألف شاب عن معنى كلمة (بيتزا) أو (هامبورجر) أو (دونات) أو (تيك أوي Take away) لما عرف الإجابة أكثر من خمسة ، وهؤلاء سافروا إلى الخارج أو لهم ثقافة غريبة ما .. برغم هذا أعتقد أن ذلك كان أفضل ..

كثت البقعة مزبحة ، وقد استغرقت وقتاً لا بأس به حتى شققت طريقي إلى البائع لأفكر في قاتمة لا بأس بها ، ثم كان لي ثلث اثنين أو ثلاثة من الأشخاص الذين لا تغالبهم إلا كل عامين .. وهكذا استغرق الأمر نحو ساعة إلا أربع .. وفي النهاية عدت للسيارة فقط على أنذكر أنها مفتوحة ..

بعد كل هذا الحرص نسيت الباب مفتوحاً كعادتي .. هكذا لم يحتاج إلى أي نوع من الحذف كي يفتح الباب ويلقى نظرة .. طبعاً لم يجد في عجلته شيئاً قابلاً للسرقة إلا الصندوق ..

هكذا أدت المحرك شاعراً يحافتي ..

لقد حل عظمي الشارد المشكلة .. لن أرى الصندوق ثانية .. سوف يفتحه اللص وينتهي الأمر سواء فاز بمساة (كوهينور) أو مجرد صرصور حبيس ..

لكنني برغم كل شيء هربت على ٤ (رمزي) ..

رحب بي في حرارة كعادته ، واقتادني إلى غرفة مكتبه حيث كان منهما في قراءة بعض المراجع .. وجاءت زوجته (ماري) لترحب بي وسألتني عن نوع المومياء التي جئت من أجلها ، فقلت ياسمناً :

- « لا مومياء .. ما لم يحو الصندوق إصبع (كليوبترا) ذاتها .. »

- « أي صندوق ؟ »

هكذا قدمت له الورقة التي تمكنت من نسخها .. بدل بعينته عوينات القراءة ، وراح يحاول مراجعة الحروف والرسوم ثم قال بيساً :

- « في الحقيقة أنت لا تقدم لى الكثير .. هناك حرف واحد كل ثلاثة أحرف مفقودة .. والنقوش كذلك لا تدل على شئ .. ربما كان هذا الرجل منكوش الشعر ذو اللحية المجددة (زيوس Zeus) وربما لم يكن .. هل هذا طائر عملاق ؟ ربما .. وربما هى أول مكتسبة كهريسية فى التاريخ .. »

ثم طوى الورقة وقال :

- « دعها معى بعض الوقت .. لكنى أنصحك بأن تأتىنى بالصندوق ذاته .. »

- « أما هذا فلا .. لقد سرق منذ نصف ساعة من سيارتى .. »

بدا عليه الغيظ وقال :

- « شارد الذهن كالعادة أو سبب الحظ .. ما علينا .. أعتقد أن القضية انتهت عند هذا الحد .. »

لألم تنته عند هذا الحد ...

لقد عاد لى الصندوق ، وكانت لذلك قصة مثيرة ..

لقد وجد الصندوق أمامه فخطفه ، وهذا يدل على أنه من أسفل عينة اللصوص على الإطلاق .. اتجه به إلى بيت أحد رفاقه لعاطلين ، وهناك قضى الرجلان وقتاً سيباً في محاولة فتح هذا الشيء بنصلي مطواتين .. يبدو أنهما أوشكا على النجاح حين لعب الشيطان برأسيهما - لو كان من الجائز أن تقول هذا عن لصين - فالتبكا في مشادة حامية .. النتيجة أن (رجب) سدد لصاحبه طعنة في كتفه .. غير قتلة طبعاً .. أما صاحبه فسدد له طعنة في بطنه .. ليست قتلة برغم كل شيء .. وسمع الجيران الصراخ فأسرعوا إلى الشقة .. ثم استدعوا الشرطة .. هذا الصندوق سرق من سيارة كانت واقفة في شارع (...) .. فمن عشاء صاحبه ؟ من حسن الحظ أنك حررت هذا المحضر »

هنا دخل أحد رجال الشرطة الغرفة ، لمقرع الأرض بحذائه الثقيل وأدى التحية .

« سيدي .. بخصوص المتهمين الآخرين .. »

« فيما بعد يا (سعد) .. فيما بعد .. »

ثم نظر لي الضابط باسماً ، وقال :

« نفس الحادث . »

6 - وظللنا صامتين .. نفكر ..

قال لي الضابط المناوب وأنا أوقع على الأوراق :

« حظك رائع يا دكتور .. من النادر أن تضبط مسروقات بهذه السرعة .. »

كنت قد عرجت على المخفر في طريق عودتي من زيارة د. (رمزي) ، بناء على نصيحته لي .. هناك حررت محضراً وأخبرتهم بصفات السيارة والصندوق وساعة السرقة .. وطبعاً لم أتوقع أن يحدث شيء .. لكنني فعلت ما يوسعي ..

إلا أنهم اتصلوا بين مساء اليوم التالي مباشرة ، وأخبروني أنهم يعتقدون أنهم ظفروا بالصندوق ..

وهناذا في المخفر أرى الصندوق الذي حسبته أنه ضائع للأبد ..

قال لي الضابط المناوب وهو يتحسس الصندوق :

« اسمعه (رجب) .. »

« من ؟ »

« الحسن طبعاً لا الصندوق .. وهو مجرد شيطان بئس .. »

- « وهل هناك آخرون ؟ »

- « تشاجر الجيران حول ما يجب عمله .. هناك عدة إصابات .. التوقع أن هذا الصندوق قد أذى سارقه وجيرانه كما لو كان قنبلة موقوتة .. »

ثم نظر نى فى فضول بوجهه المتعب الذى لن يدهشه شيء :

- « ماذا بداخل الصندوق يا دكتور ؟ »

قلت فى صدق :

- « لا أعرف يا سيدى .. لتقل إنه ميراث ثقيل ، لكننى بالفعل لا أعرف كيف يمكن فتحه .. أعتقد أنه لابد من تحطيمه .. من الممكن أن يحوى لاشيء أو كل شيء .. »

قال وهو يناولنى الصندوق :

- « تفضل وكن حذراً فى التعامل معه .. »

وهكذا عاد نى الصندوق بأسرع مما توقعت ..

على ضوء المصباح الخافت راح د. (رمزى) وسأمل الصندوق .. يخيره فى يده مراراً ..

بدا مبهوراً متلاحق الأنفاس ، وإن لم يتكلم .. يلعب دور الطبيب الذى يفحصك وتسمع عيانه ويحمر وجهه .. ينظر فى وجهك قلماً .. ثم يواصل الفحص .. كل هذا دون أن ينطق حرفاً ..

قلت له باسم :

- « خيراً يا دكتور ؟ »

قال دون أن ينظر نى :

- « إنه .. إنه .. أصلى .. لا أعرف ما يحويه لكن خيرتى لا تخطئ .. هذا الصندوق أصيل وربما يشكل ثروة صغيرة .. كنت أتوقع دعابة سخيفة .. مجرد تقليد متقن .. لكننى أعرف الشيء الحقيقى حين أراد .. »

ثم راح يديق النظر فى النقوش والكتابة :

- « (ثيوس) .. ثم لا تفهم .. (بن) .. هذه كلمة (زيوس)

واضحة .. لا أعرف يا (رلفت) .. فعلاً لا أعرف .. »

وراح يتحسس قلب المفتاح بإصبعه الصغير .. ثم فتح درج مكتبه وأخرج مجموعة مفاتيح يفخر بها أى نص فى العالم .. كدت أقول الدعاية السخيفة المستهلكة : فيم تعمل بعد الظهر بتضبط ؟ ثم وجدت أن هذا لا يلىق بى ..

بدأ يجرب المفاتيح .. لكنني كنت قد قدرت أنه لا جدوى ..
لا بد من مفتاح إغريقى أو (هليليى) له شكل معين .. هذا
تحصل حاصل ..

عاد يفتح الدرج ، وأخرج فتاحة خطابات مديبة ومطواة ..
وبدا يحاول دس المطواة تحت القطاء ..

هنا شعرت بأن مجال الرؤية ضيق فحسيت أنني أصبت
بالتفصا الشبكية أخيراً (كنت أنتظره لكنى لا أعرف متى
يأتى) .. إلا أنني وجدت أنها مدام (ماري) وقد وقعت
ترقب المشهد فى فضول وهى تحمل صينية الشاي ..
قلت لها وأنا أرثجف رعباً :

- « هلا تفضلت بوضع هذه الصينية ؟ أخشى أن الحملان
سيجعلها تسقط فوقى .. »

مجرد دعابة لكنها قالت فى غلظة حقيقية :

- « كن مهذباً .. أنا لا أسمع لك ! »

كانت هذه أول مرة تكلمنى فيها بهذه الطريقة ، وقد
تصنبت دهشة .. إنها تقبل من الدعابات ما هو أعنف .. هنا
تدخل (رمزى) وهو منهمك فى الفتح :

- « احترمى أنت نفسك .. لا تنسى أنك من فضلك ! »

صاحت فى ضيق وقد بدا التوحش فى عينيها :

- « أنت متحط ! »

- « ولت بلهائم ! »

هنا شعرت بغيظ عارم منهما .. غيظ لا يمكن وصفه ..
شئ كالنار لا ترويه إلا السماء .. فصرخت وقد فقدت كل
وقار لى :

- « أخرسا ! كنت أحسبكما أكثر رقيًا ، أنتما تتشاجران
كيتاعتين متمركتين فى سوق الخضار ! »

لوح د- (رمزى) بفتاحة الخطابات فى حلق وصرخ :

- « احترم البيت الذى يستضيفك ! »

- « أنا لا أرى بيتاً ! »

ومن المؤكد أن الأمور كانت إلى تصاعد ، لولا أن
(ماري) أطلقت صرخة .. ثم حدث ما توقعته بالتضبط ..
بحيرة من الشئ الساخن فوق سروالى .. ثم هى ممددة
على البساط تتحسّن عنقها وتحترج ..

هنا فقط رقص الضوء الكهربائى كأنه موشك على
الانطفاء ، والحظة حسبت الظلام سيعم .. وقلت لنفسى :

المصائب لا تأتي فرادى .. لن نستطيع إنقاذها وتحسن
نتخطئ في الظلام . لكن شدة التيار استقرت من جديد ..

كان الرعب قد أنسب آلام الحريق ، لذا أسرعنا إليها
أنحس نبضها .. كانت ترتجف بشدة لكنها واعية ، ولم
تمت .. لكنها كانت محبومة بشدة ..

غريب هذا .. لم أر قط حمى ترتفع في ثانية واحدة على
طريقة (الآن تراه / الآن لاتراه) الشهيرة لدى الحواة ..
وكلن (رمزي) قد هرع إليها مذعورا .. فجثا جوارها وهو
يردد (ماري) بلا انقطاع ..

- « ماذا دهالها ؟ »

- « لا أعرف طبعا .. لو كنت تحسب أنسى (ابن سينا)
فأنت مخطئ .. »

وحملناها لنضعها في الفراش وهي ترتجف بلا انقطاع ..
قال لي وهو يمسح العرق عن وجهه :

- « (رقت) .. أنا أسف .. لا أعرف السبب الذي ... »

قلت له ولما أنحس نبضها :

- « فيما بعد .. أما الآن لو أردت أن تكون مفيدا ، فعليك
أن تعد لي بعض الكمادات .. »

هرع إلى المطبخ وسمعت صوت أكثر من كسرولة تسقط
فوق أخرى ، ثم صاح من هناك :

- « هل من شيء آخر ؟ »

- « نعم .. أي مخفض للحرارة لديك .. ليس الأسبيرين ..
أي شيء سواه .. »

فتنا لا نستعمل الأسبيرين مع أية حمى لا أعرف
مصدرها ..

- « (باراسيتامول Paracetamol) .. هل يصلح ؟ »

- « معتبر .. »

انغرب أن حرارتها كانت تهبط .. إنها تتحسن ولا شك
في هذا .. لكن بعض الباراسيتامول لن يؤذيها ..

وبعدا جثنا لمدة نصف ساعة جوارها ، نضع الكمادات ..

جو من الصمت الخزين سد المكان .. كأننا نستهلكنا عواطفنا
في كل هذا الصراخ .. وأخيرا بدا أنها نامت في سلام
فنهضنا عائدتين إلى المكتب ..

قال لي د. (رمزي) وهو يضم راحتيه معا :

« حالة من الجنون الوقتي أصابتني .. أقسم أنني كنت
سأغرس هذا النصل في عنقك أو ضيقها بعد ثانية واحدة .. »

قلت أنا بدوري :

« وأنا كنت سأنتزع حنجرتك بأسناني .. »

ثم فكرت قليلاً وأردفت :

« لحظة .. وما سر هذه الحمى التي لم يسمع الطب
بمثلي ؟ هناك حميات تظهر فجأة .. لكن ليس خلال ثوان .. »

« وتشفى فجأة .. »

ثم نظرت إلى الجدار خلفه .. ثمة شيء ما غير
موجود .. ماذا حدث ؟

نظر إلى حيث أنظر ثم نظر للأرض ، وقال في أنفي :

« صورة (إيزيس Isis) التي أعلقها خلف المكتب ..
لقد سقطت وتهشمتم .. لا بد أن هذا حدث عندما حملناها
إلى الحجرة .. »

« ولماذا تسقط صورة في هذه اللحظة بالذات ؟ »

« لا أدري .. لقد جن كل شيء .. حتى الحبال التي
تحمل الصور .. »

وظلنا صامتين نفكر ...

7 - هل تعرف ما أفكر فيه ؟

في اثنتيئة صباحًا خرجت إلى الصلاة لأشرب ..

كان الصندوق موضوعًا على المنضدة وحيدًا كأنه كابوس .. لقد صار له وجود ملموس مغوى في حياتي ، وليس غريبًا أن د. (رمزي) أصر على ألا يبيت عنده ..

جذبت مقعدًا وجلست أمامه في ضوء الصلاة الخافت ..

من جديده أسمع هذه الأصوات الغريبة .. لائلك في هذا ..

ظللت نحو نصف ساعة في هذا الموضع ، حتى إنني وثبتت متراً في الهواء حين دق جرس الهاتف .. هزعت أرفع السماعة قبل أن يخرق الصمت وأعصالي أكثر من هذا ..

كان هذا صوت (رمزي) ، وكان كافيًا كي أصاب بنوبة قلبية :

« هل .. هل حدث مكره ؟ »

استغرق وقتًا وهو يؤكد لي أنه - ويقسم بالله - لم يحدث شيء .. زوجته نائمة .. لكنها نهضت وذهبت للحمام وتناولت العشاء .. كل شيء على ما يرام ..

« إذن ما الكارثة ؟ »

روايت مصرية للجبب .. ما وراء الطبيعة

٧١

« لا كارثة .. فقط أثر منك يا أخي .. ثمة فكرة مجنونة خطرت لي يصعد هذا الصندوق .. هل تعرف ما أفكر فيه ؟ »
قلت له :

« أعتقد أنني خمنت .. »

ابتلع ريقه بصوت مسموع في السماعة ، وقال :

« صندوق (بندورا Pandora) .. هذا هو ما خطر لك ..
ليس كذلك ؟ »

لقد تركت الأساطير الإغريقية اقرأها هاللاً على الفكر الإنساني عامة لا يختلف في شيء عما تركته (ألف ليلة وليلة) .. لكن تعبير (صندوق بندورا) قد حفر في الأذهان وفي عوالم الأدب إلى حد غير مسبوق ، وصار يرمز للمشاكل التابعة التي يحسن تركها كذلك .. فقد يدفعك الفضول البشري البغيض إلى اقتحامها فتجلب على نفسك الأوهال ..

قلت د. (رمزي) :

« هذا يفسر اسم (زيوس) وصورته على الصندوق .. »

تقول الأسطورة اليونانية إن (برومثيوس Prometheus) وهو ابن (تيان) الشهير، قد أسدى خدمة كبرى لـ (زيوس) .. هناك مصادر تقول إنه شفى (زيوس) من صداع مؤلم .. فى الحقيقة ليست ميالا إلى أن (زيوس) كان ثاقفا سهل الإرضاء إلى هذا الحد، وإلا لالتزم أى طبيب على شيء من البراعة إلى قائمة الأبطال الإغريق ..

وعلى طريقة مرضى الأرياف الذين يكافنون الطبيب لدى شلتهم ببطة أو أوزة، فإن (زيوس) قرر أن يمنح الأرض للأخ (برومثيوس) ..

- « وهذا يفسر أيضا لفظة (ثوس) على الصندوق .. »

ما زال (رمزى) يقاطعنى مصرا على التفسير ..

الآن وقد صار (برومثيوس) مسئولا عن الأرض، فإنه قرر أن يعلم الإنسان أشياء كثيرة .. بل إن حملته لهذا الإنسان جعله يخرق كثير من قواعد (الأوليمب Olympus) الصارمة .. وراح زملاء (زيوس) يتهامون :

- « هذا الفتى يتغ .. إن اهتمامه بالبشر غير محمود .. »

فيقول (زيوس) فى تساهل :

- « دعوه .. دعوه .. لقد شغلنى من الصداق .. إنه وئد

شيب .. ثم إن أباد من أسرة (التيان) وهم قوم هستو سمعة .. »

لكن (برومثيوس) يتجاوز كل الحدود .. كان هناك نوع واحد من المعرفة بهمه بشكل خاص أن يصل إلى البشر .. النار .. إن النار أعظم اكتشاف فى التاريخ، ويفضلها استطاع الإنسان أن يجد الوقت والأمن والشبع والدفء الكافى للوصول إلى باقى ما عرفه ..

النار موجودة فى (الأوليمب) .. وجوارها لافتة كبيرة تقول : تعليمات خاصة من الحاكم العسكرى، يمنع نقلها للبشر أو تعليمهم كيفية صنعها .. لا تنس أن آلهة الأساطير الإغريقية أثليون بحق، يشعرون بأن الإنسان ينافسهم ..

هكذا قرر (برومثيوس) أن يسرق لأول مرة فى حياته .. تسلل إلى الأوليمب وقبس من هذه النار، ثم نزل بها إلى الأرض، وهناك وضعها الناس فى معبد كبير .. بالفعل كانت النار توضع فى معبد خاص، ويحرم على أى مواطن أن يحتفظ بها فى داره .. فقط يأخذ منها ما يريد، ليطهو ما يريد ثم يطفئها .. وكانت تشرف على استعمالها عذراء باسمه .. باسمه لأن النار لو انطلقت كانت ترفع حياتها ثمن ذلك، ولا أعرف من أين كانوا يأتون بنار أخرى لحرقها لكنهم كانوا يفعلون ذلك !

هكذا تجاوز (برومثيوس) كل الحدود .. وقرر مجلس إدارة (الأوليمب) أنه لابد من عقابه بصرامة ..

كان أكثر المتحمسين للعقاب (زيوس) طبعاً بمنطق الأب الذي باتع في الثقة بابتغائه .. فلما خذله الإله كان عقابه شديداً متوحشاً ..

« افعلوا به ما تريدون .. هو ليس ليني من الآن فصاعداً ! »

ثم أخذ (برومثيوس) إلى (التوقار) حيث تم ربطه بين جبلين .. وتم تكليف رخ صلاتي بأن يهاجمه كل يوم ليأكل كبده ، فإذا جاء الليل نما له كبد جديد .. هكذا دائرة مريضة من الألم تتجدد كل يوم ، لم يقطعها إلا قدوم الأخ (هرقل Hercules) أثناء إحدى مهماته .. لقد رأى المظهر فسأل (برومثيوس) : يلزم خدمة يا كاشين ؟ ثم قرر أن يتدخل وقتل الخرخ .. وحرر (برومثيوس) وتركه ليواصل مهمته ..

عاد (برومثيوس) للبشر فيهل القوم فرحين ، بينما عاد (زيوس) يموت بثلاثين من الغيظ ..

لا بد من الانتقام .. لكن كيف ؟

هنا خطرت له فكرة لا بأس بها .. كان البشر الموجودون على الأرض جميعاً من الرجال ، مما يدل على أنه كان مجتمعاً سعيداً فعلاً .. هكذا قرر أن يرسل له (برومثيوس) هدية من نوع جديد .. المرأة ..

تقول الأسطورة الوثنية أن (زيوس) كلف (فولكان Vulcan) بصنع الأثني الأولى .. إن (فولكان) حداد ولا أعرف في الحقيقة دوره في صنع الأثني ، لكن بهذا ترمز الأسطورة إلى الطبيعة الفارية للمرأة .. ثم تم استدعاء سادة (الأوليمب) الآخرين لتقديم هداياهم إلى هذه الأثني الأولى .. قبلتها (فينوس Venus) ومنحتها الجمال والحب .. أن تلهم الحب في الناس وتحبهم .. أما (مينرفا Minerva) فقد منحتها بعض الذكاء .. ثم ألهمتها (لاتونا Latona) أن يكون لها قلب كلب .. ونفس لص .. وعقل ثعبان .. هذا هو ما تقول الأسطورة ، وهو لا يعجب جميعات حقوق المرأة كثيراً .. لكن الأسطورة تناقش ذلك الموقف الرجولي العام من المرأة .. أنها نعمة ونقمة معاً ، وأنها أجمل شيء حياتنا لكنها كذلك معذبنا الدائمة ..

ماذا نطلق على هذه المخلوقة الحسنة ؟ إنها منحت كل العطايا الممكنة لذا أطلقوا عليها (التي منحت كل شيء) أو (بان - دورا Pandora) ...

تنزل (بندورا) إلى الأرض فتثير صخباً .. إنها ملكة جمال العالم لسبب بسيط هو أنه لا يوجد سواها .. وبالتطبع تنقى شبانها حول (برومثيوس) لكن الرجل الحكيم سليل

(التيتان) والذي اتهم الرخ كبده آلاف المرات ، لم يعد ذا مزاج رائق للنساء ، ثم إنه يشم رائحة خدعة في الأمر .. هكذا تجاهلها ..

المحبول الذي هام بها حباً هو أخوه (إبيميثيوس Epimetheus) .. يبدو أنه كان من ذلك الشباب الرفيع الذي يفقد وقاره أمام أول فتاة جميلة ، وقد أصر على أن يتزوجها .. وشعر (بروميثيوس) أن أخاه سيصاب بنوبة قلبية إن لم يلب طلبه فوافق على مضض .. وقد كان وعاش الأخ الرقيق أياماً لا توصف من السعادة ..

هنا جاء الجزء الثاني من الخدعة يوم أرسل (زيوس) مبعوثه (هرملز Hermes) وهو في الأساطير الإغريقية يلعب دور (الساعي) .. كان يحمل هدية للخزوجين السعدين .. هذه الهدية هي صندوق مغلق ..

كان (إبيميثيوس) حكيماً في هذه النقطة ، فرفض فتح الصندوق .. لكن زوجته الحسنة راحت تلح عليه أن يفعل .. من يرى أية كنوز أو أقراج تختفي داخله ؟ إن هناك أصواتاً تتادبها من الداخل .. أصواتاً تعدها بالسعادة المطلقة .. لقد صارت حياتها جيئاً وهي تجلس الليل والنهار حول صندوق تخيل ما يحويه ، وكان الفضول يخنفها كأنه أنثى في

الأساطير .. زوجة ذي الحية لزرقاء التي جن جنونها لتعرف ما يوجد في الغرفة رقم مائة .. لقد ترك لها زوجها حرية التنقل بين تسع وتسعين غرفة ، لكنها لم تخطر سوى الغرفة المائة ..

في النهاية تنتهز فرصة غياب زوجها لتفتح الصندوق .. فجأة انظم العقم ، وخرجت أرواح شريرة من الصندوق .. أرواح يجعل كل منها اسمًا مخيفاً مثل (التفاق) .. (المرض) .. (الجوع) .. (الفقر) .. وراحت المسكينة تدور حول نفسها محاولة غلق الصندوق فلم تستطع .. لاحظ أن (بندورا) لم تكن شريرة لكنها استجابت لطبيعتها الفضولية كامرأة .. في النهاية أغلقته بالفعل ولكن بعد أن حدثت الكارثة .. والجنة الجميلة السعيدة تحولت إلى جحيم حقيقي هو الذي نعيش فيه الآن ..

فلو لم تفتح (بندورا) الصندوق لكان نعيش في جنة حقيقية حسب رأي الأساطير الإغريقية ..
قال د. (زمرى) :

« الأمر واضح .. كان هذا مقلداً من (زيوس) .. والقصة كلها درس فلسفي رائع عن طبيعة المرأة الشغوف

بالجديد ، وعن عاقبة الفضول ، وعن حدود العلم البشرى ..
كل شخص منا من الحقيقة أكثر من اللازم نال عقاباً صارماً ..
(إيكاروس Icarus) اقترب من الشمس فلذبت أجنحته
الشمعية .. و (برومئوس) سرق المعرفة - النار - فعذبه
الرخ ، وأرسلت (بندورا) وصندوقها إلى الأرض ..
قلت له :

- « كل هذا جميل .. ولكن ما دخل هذا بقصتنا ؟ »

كانت هناك بضعة أسئلة ، وقد ناقشناها مع د. (رمزي)
ونحن جالسان في مكتبه فنأمل الصندوق ..
قلت لي :

- « لا توجد طريقة أخرى للتكبير .. كل شخص حاول
فتح هذا الصندوق نشر وباء الجنون في المكان الذي حاول
ذلك فيه .. أنت حكيت لي عن المجزرة التي حدثت في تلك
الورشة .. لماذا تشاجر اللصان ؟ ثم لماذا انفجرت العدوى
للجيران ؟ ماذا عن العصبية الشديدة التي أصابتنا أمس ؟
لماذا ارتفعت حرارة (ماري) في شوان ؟ لماذا سقطت الصورة
المعلقة في داري ؟ هل يمكن تفسير هذه الظواهر إلا بأن
الصندوق فعلاً يحوي الجنون والكوارث ؟ »

قلت له مفكراً :

- « لحظة .. ليست هذه أول مواجهة بيني والأمساثير
الإغريقية .. لكن هناك قاعدة ثابتة .. لا تتكلم عن (زيوس)
و (هيرا) ثم تنهى على هذا استنتاجاً .. أنت تعرف كما
أعرف أن (زيوس) لا وجود له .. فكيف يكون هذا
صندوقه ؟ »

يتسم وتحسن الصندوق ، وقال :

- « الإجابة دائماً كما يلي : إن (زيوس) محاولة لتفسير
أسرار الكون .. لا وجود له (زيوس) لكن أسرار الكون
باقية كما هي .. اعتقد الإغريق أن البرق هو سهمهم في
جعة (زيوس) ، وأن الشمس هي شعلة في يد (أبولو
Apollo) .. اليوم نؤمن أن الله خلق الظواهر الاستاتيكية
والفيزيائية التي أنت لابعثت الكهرباء التي هي البرق ،
وأن الشمس هي نجم مضىء تدور حوله .. لقد كففنا عن
الاعتقاد بـ (آمون) و (زيوس) و (أبولو) لكن البرق
والشمس مازالا موجودين .. لم لا تكون قصة صندوق
(بندورا) هذه مجرد محاولة لتفسير الظاهرة الغريبة التي
تحيط بهذا الصندوق ؟ »

قلت في سعادة :

- « هذا صعب جداً .. لو كان هناك صندوق بهذه الصفات لسمعت عنه في كتب التاريخ لا كتب الأساطير .. كانت كتابات هيرودوت (Herodotus) ستحتوي التفاصيل الكاملة التي تريدها .. »

قال بعناد :

- « ثمة احتمال ثان .. هذا الصندوق محاكاة دقيقة للأسطورة .. »

- « لا أفهم .. »

أشار لي بإصبعه ، وقال :

- « فكر .. أنت (برومثيوس) الذي عرف أكثر من اللازم ، من ثم عوقب بأن أرسلت له تلك الفتاة الحسنة .. قلت ما اسمها ؟ »

- « إيفيتا .. »

- « نعم .. ومعها الصندوق .. إن القصة تتكرر حرفياً .. »

قلت في ضيق :

- « لاحظ أن الفتاة لم تؤثر في .. ثرت في جرى (عزت) .. »

- « كما حدث مع (برومثيوس) .. الذي وقع في حب الفتاة هو أخوه (إبيميثيوس) .. إن من أرسل لك هذا الصندوق يستمتع بحسن درامي لا بأس به .. »

فكرت في الأمر ملياً ثم قلت :

- « ليكن .. ولكن من الذي أرسله لي ؟ من الذي ينبغي دور (زيوس) ؟ »

- « لا أعرف .. إن أعدادك كثيرون .. »

- « وما الذي عرفت أكثر من اللازم ؟ إنني أعرف أقل من اللازم في كل شيء .. »

- « من يعتقد أنك تعرف أكثر من اللازم هو من أرسل الصندوق .. لو عرفت هذا عرفت ذلك »

دققت بعني على الصندوق وعدت أسأل :

- « والغرض ؟ هل هو أن أفتح الصندوق ؟ »

- « الغرض هو وضعك في ذات المازق الميتافيزيقي .. نحن نعرف أن التدمير والتهم غزا الأرض عندما فتحت (بندورا) الصندوق .. أنت لم تفتحه بعد .. »

- « لكن هذا - حسب الأسطورة - يعني أن الصندوق خال .. إن ما كان فيه قد ملأ الأرض قلعاً .. »

- « الأسطورة تقول إن (بندورا) أصيبت بالهلع حينما خرجت الكوارث من الصندوق .. هكذا أسرعنا إلى غلقه .. إذن الأسطورة تقول إنه ما زال مليئاً .. وتجربتنا تقول إنه ما زال مليئاً .. رهان هذا الشخص هو أنك ستفتحه .. عندما يزداد العالم سوءاً .. »

قلت وأنا أنهض في عصبية :

- « هنا هو أحمق .. لا يهمنى إن كانت القصة حقيقية أم لا ، لكنى لن أحاول فتحه .. أنا لأمك مرة فضول أقوى في داخلي .. سأختصص منه في مكان أمين .. »

فكر قليلاً ثم قال :

- « ألا تشعر بأنها خسارة إلى حد ما ؟ »

قلت وأنا ألق الصندوق في جريدة :

- « لقد رأيت جزءاً من أثره .. وهذا يكفى .. لو كان يحوى سر الكون فلن أفتحته .. »

قال وهو يعتقد أصابعه في شكل رجاء :

- « فقط عدنى بشيء واحد .. أريد أن تفتش في ذاكرتك جيداً عن غاز يسبب هذه الأعراض .. »

- « فكرت في ذلك كثيراً .. ولكن لا .. لا توجد غازات تسبب الجنون على قدر عظمى .. غاز (أوكسيد النيتروز Nitrous Oxide) يسبب نوبات ضحك جنونية ، وقد استعمل في التخدير لهذا الغرض .. لكنه لا يسبب الجنون الذي يجعلك تفك بشارك أو زوجتك .. هذا الصندوق ليس مغلقاً على (غاز الجنون) لو خطر لك هذا .. »

- « وغاز الأعصاب ؟ »

- « لا يسبب الجنون .. إنه يشيط إليزيم الكولين إستريز Cholinestrase كما تفعل قائمة طويلة من السموم .. هو فقط يفعل هذا بسرعة وفعالية .. لو كان اسم (غاز الأعصاب) قد أثار شهيتك فانت مخطئ .. »

هز رأسه في غير اقتناع وتمنى لى حظاً سعيداً ...

فتحت باب شفتى محدثاً الصخب المعتاد ..

هنا لفتح باب شقة (عزت) .. كان بالمنامة ففرقت أنه ليس فى طريقه للخروج ، بل هو كان ينتظر سماع صوت مفتاحي ..

قلت له فى حرارة :

- « كيف حالك يا (عزت) ؟ »

هز رأسه ولم يتكلم .. فقط أشار إلى حلقه ..

دنوت منه وتحسست عنقه ، فوجدت بعض العقد اللمفاوية .. لا مشكلة .. كل الرجال الذين لا يطيلون لحيتهم عندهم عقد لمفاوية فى العنق بسبب جروح الحلاقة التى قد لا تبدو للعين ..

قلت له :

- « لا بأس .. سأتى لك بمضاد حيوى مناسب .. سوف تشفى بسرعة .. »

قال مقاطعاً بصوت مبسوح كله أوزة ذبحت منذ نقيّة :

- « دك من هذا فلنا أمقت الأثوية .. أنا فعاطى ترسقة منها فلا أريد زيادة الطين بلة .. سأشفى تلقائياً .. فقط أردت أن أعطيك هذا .. »

كان فى يده مظروف أبيض من الطراز الميطن ، مما جعله يبدو سميكاً .. فتظنرت له بعينين متسائلتين ، فقال :

- « هى أعطتلى هذا المظروف واشترطت ألا أعطيه لك إلا بعد رحيلها بأسبوع .. »

شعرت بالقيظ يحل محل عاطفة الشفقة وبعثت :

- « أنت ظلمت تخفى عنى هذا أسبوعاً ؟ يالك من أحمق ! »

- « إنما هى الأمانة .. »

هى .. هى .. المقلب الثامن الذى جاءنا من اليونان .. وماذا تريد ؟ سيكون شعورى واقعاً لو اتضح أن محتوى الرسالة هو (عليك واحد) أو شيء من هذا القبيل ..

سألته في حرص :

- « ما أخبارها ؟ »

قال في حزن بصوته المبحوح العجيب :

- « لا أخبار .. لقد تلاشت من حياتي تمامًا .. »

طبعًا يا أحمق .. لن أخبرك طبعًا أن قصة إعجابها بك هي - على الأرجح - مجرد خدعة لتصل لي أنا ، وتترك الصندوق اللعين هدية ..

ثمهم أنني شكرته واتجهت إلى شفتي ..

هناك في الصلاة ذات الضوء الخافت جلست أمام الصندوق ، ثم مددت يدي إلى المظروف وفتحته .. كما قلت آنفًا كان محشورًا ببطاقة تجعل من الصعب معرفة ما فيه ، لكن من السهل الآن أن تصطدم يدي بفضيب صغير مضلع الزوايا من النحاس .. نحاس يبدو عليه القدم ، وكل ما فيه يوحى بأنه مفتاح .. أي مفتاح ؟ الصندوق طبعًا .. لقد قررت أن تتركني أجرب أسبوعًا ، ثم تقدم لي المفتاح ..

كان الخطاب مكتوبًا بالإنجليزية وبخط جميل حقًا :

- « عزيزي د. رفعت :

أحبك الآن قد فهمت كل شيء وصرت قادرًا على اتخاذ قرار صحيح .. طبعًا أنا لا أنصحك بتاتًا بفتح الصندوق .. ثمة قرية كاملة زالت من الوجود في اليونان بسبب أن هذا الصندوق فتح لمدة خمس دقائق .. لكن الموقف عسير وإنني لأرثى لك .. إن صديقك القابس (عزت) مريض جدًا .. السم الذي حقن له يسرى في جسده يبطئ شديد ، وسوف يقضى عليه خلال أيام .. لكنني لست بهذه القسوة .. إن للسم ترياقًا ، وهذا الترياق سهل الاستعمال فلا يحتاج إلا إلى تجرعه ..

طبعًا لابد أن نعاك انحد قد أرشدك الآن إلى أن الترياق في الصندوق .. لا توجد طريقة للوصول إليه إلا استعمال المفتاح والتنقيب داخله جيدًا . تخلص من الصندوق يمت صديقك حاليًا .. افتح الصندوق لتحل الأحوال بالعالم .. الحقيقة إنني لا أتمنى أن أكون في موضعك في هذه اللحظة بالذات . »

(فينوس : نجمة النهار)

لم تكن الرسالة موقعة باسمها بل بهذا اللقب الغريب ، لكنها كانت بلغة جدًا وكافية ..

لن أتردد .. كل هذا الذي يقال عن صندوق (بندورا)
هراء لا أكثر .. هذه محاولة لتخويفي ..

سأفتح الصندوق وليكن ما يكون ..

هكذا تحسست المفتاح ، ثم بيد راجلة أولجته في
الفتحة .. من الغريب أنه استجاب بسهولة و .. سلوك ..
تحرك نظام زيتيركي ما ليثب الغطاء مفتوحًا و ...

ما هذا الصداع ؟ ما هذا الصداع ؟

هل كل البراكين الخامدة على وجه الأرض قد قررت أن
تتفجر في رأسي ؟ أم أتنى أصبت بنزف مخي ؟

كنت مذعورًا خائفًا ، وحين فتحت عيني رأيت أننى
معلق .. نعم معلق من ذراعي كالنسر المعلق ..

كنت هناك في الهواء على ارتفاع شاهق .. الأرض من
بعد مجرد بقعة تبدو أو تختفى بين السحب . نعم السحب ..
فقد كنت فوق مستواها .. أرى ذلك المشهد المعتاد الذي
تراد من نافذة الطائرة ..

الهواء بارداً .. بل هو متجمد .. وأنظر لأعلى فأجد أن

الحبال التي تربطني قوية جدًا طويلة جدًا ، وأنها تتدلى من
قمتي جبلين .. بينما أنا معلق بينهما كدمية (ماريونيت)
معدومة الحياة ..

أصرخ فتتردد الأصداع .. أصرخ فيجف حلقى من الهواء
البارد ..

ومن بعيد أرى ذلك الطائر الأحمر .. طائر أحمر ؟

كان غريب المنظر أقرب إلى ديوك المصارعة شرسة
المنظر .. لكنه ذو جناحين صلايين .. وكان هو نفسه
ضخمًا إلى حد مهول .. ليس نسراً .. ليس عقابًا ..

إنه يقترب مني ويصرخ .. ذلك الصراخ الشبهى المخيف
الذي تسمعه في السينما من خارج هذه المخلوقات ..

إنه يرقرف ياتقرب مني .. ثم يفتح منقاره الشبيه
بالخنجرين ..

هنا فهمت ..

أنا الآن ألعب دور (برومثيوس) وهذا الخرخ الشنيع يريد
كهدى ..

هذه إذن هلوسة .. لا .. ليست كذلك ..

كل حواسي تعمل بكفاءة ، وإحساسى متكامل باقزمان
والمكان .. لقد انتقل جسدى بالكامل إلى بعد آخر ..

بربك لست أنا .. أنت أخطأت الشخص .. (برومثيوس)
بطل أسطورى هو جزء من هذا المكان وتكلم العوالم ، أما
أنا فرجل بسيط .. رجل أعظم بطولاته استبدال مصباح
الحمام ، من دون أن ينزل تحت المقعد الصغير فيهبوى
لينق عنه ..

ولكن .. إن المنقار يمزق كبدي فعلاً !

لا جدال فى هذا .. إن ذلك الطائر البشع يبتعد وفى فمه
شيء أحمر .. لا أريد أن أنظر .. لا أشعر أنما ؛ لكن ذلك
الشعور بالثقل ، والشعور بأن الثقل يتحول إلى جديد ..
لا .. أنا لا أريد ...

وسمعت الأصوات تأمرنى : أغلق الصندوق يا أحقى !
أغلقه !

من جديد أنا فى الصلاة غارقاً فى العرق ..

هذا الليل ..

مددت يدي أنحسب أسفل صدرى من الناحية اليمنى
فوجدت أن قميصى ممزق ، وأن هناك دماً .. دماً غزيراً ..
أصابنى الهلع والغثيان فلأبد أننى فقدت الوعي لدقائق ..
وحين أفاق عرفت أننى حى أرزق .. لكن الدم كان فى
مكانه ..

لم يحدث شيء يا أحقى . لا تخف .. الرخ لم يلتهم
كبدك .. كانت تلك حلوسة بغرض الإنذار ..

الصندوق مغلق .. فمن الواضح أنك لم تجد الوقت لتفعل
أى شيء .. لقد شعرت بالكارثة فأغلقته ..

والآن يوجد احتمالان : إما أن يكون صاحب الرسالة
صادقاً بصدد الترياق .. وإما أن يكون كاذباً وليس هناك من
خطر يتهدد (عزت) .. هو فقط يحاول وضعى فى موقف
صعب .. فى جميع الأحوال فتح هذا الصندوق خطر .. لقد
جريت هذا مراراً ..

« اعتقد أنها أعدت لك شيئاً ما .. فهى تحب العبث ولها
عقل ثعلب .. »

« ثمرألهمتها (لاتونا) أن يكون لها قلب كلب .. وتنفس
لص .. وعقل ثعلب .. »

من هى ؟

هل هي حقاً ، أم أنها مجرد واجهة لقوى أخرى أكبر
تبحث بي ؟

لا أعرف متى قررت أن أنسى كل هذا وأنام .. بدلت
القميص أولاً فوجئت خدوشاً قبيحة على بطني .. ليست
الخدوش التي تحدثها مخالب رخ طبعاً ، لكنها غائرة في
جدار البطن .. من يدري ؟ ربما أحدثتها أنا في نفسي أثناء
تلك الليلية ، وربما أحدثها شيء ما لا أعرف كنهه موجود
في الصندوق .. المهم أن تأثيرها النفسي كان ساحقاً ..

قمت بتطهيرها .. يعلم الله نوع الجراثيم التي تتوارى
تحت أظفار الرخ .. يجب أن أفكر في ورقة علمية بهذا
الصدد ..

على الأقل أنا محتفظ بكبدى .. لهذه الليلة على الأقل ..

قال لي د. (ماهر) وهو يخلق مفتاح الضوء الكهربائي :

« هل أنت متأهب ؟ »

قلت وأنا أخذ نفساً عميقاً :

« نعم .. »

قام بتشغيل مصباح الأشعة تحت الحمراء ، وقمنا بتثبيت
العويطات .. في هذا الضوء الغريب نرى كل شيء أخضر
زمردياً مخيفاً ..

لم يكن سوانا في مختبر الفيزياء ، وهو مختبر خاص
منعزل لا يدخله الطلبة ، مخصص لأبحاث أعضاء التدريس
هنا .. هكذا مددت يدي إلى المفتاح وأمرت به حرص في
الثقب .. وهذه المرة ضغطت على الغطاء بيدي كي لا يثب
كما فعل معي أمس .. فقط سمعت له يأن يرتفع مسافة
لا تتجاوز بضعة ملليمترات ..

وساد صمت رهيب ...

إنني الآن أراها .. د. (ماهر) أيضاً رآها ..

سحابة الدخان المشع ابراق تتسلل من الصندوق .. دخان
مبهم كالذي ينبعث من لفافة تبغ مفسدة في يد شخص لاه ..
لكن الدخان يلتف .. يصنع أشكالاً قشبية غريبة .. يمكنك أن
تتبين وجهها وملامح .. لكنها لا كابية ملامح .. ملامح
شيطانية هي كرسوم الفيلان في رسوم القرون الوسطى ...

هذا قم .. هذه أنياب يارزة .. هل تری ؟ هناك مخالب ..
تتفرع مع الدخان .. ثم تتحول بدورها إلى وجه آخر ..
بينما الأنياب تتحول إلى مخالب في ذراعى شبح آخر ..

شيق د. (ماهر) رعباً في الظلام، وهمس :

« أغلقه .. أغلقه بإثله عليك .. »

لغنى ظلت كما كنت مبهور الألفاس ..

سحابة الدخان ترحف ببطء .. تقترب مني ، لكنها لا تغفل
ذلك مباشرة ، ولكنها تدور لتصل إلى بطريق غير مباشر ..
كانها تريد أن ترقص رقصة الموت من حولي أولاً .. ورابت
وجهاً مريباً يذكرني بوجوه القرع العسلى التى يصطنعها
الأطفال الغربيون فى عشية عيد الهالوين Halloween ..

كان يدنو مني ...

لا أقوم شيئاً .. إن صوتاً غريباً عميقاً يصدر منه ..

يقترّب أكثر .. يقترّب ..

فجأة ينطلق صوت د. (ماهر) فى الظلام :

« ليها الغي الأحمق ! أنت مجرد خنزير .. يالك من وغد !
تأ لا أفكر شيئاً فى لعلم سوى أمثالك ممن يتظاهرون بالعلم
والذكاء ، بينما هم يقودون أنفسهم والآخرين إلى كارثة !
ولكن .. أيها الغبي الأحمق ! أنت مجرد خنزير .. يالك من
وغد ! هل تريد رأيي فيك ؟ أنت .. وغد .. وغد .. »

ثم سمعته ينهض :

« أقسم بإثله العظيم أنك لو لم تغلق الصندوق حالاً ،
لتهشت وهشمت كل قطعة خشب فى هذا المقعد فوق رأسك
الأصلع القبيح .. من يدري ؟ لعلك تصير أجمل بعد هذه
العملية ! »

هذا فقط أحسنت خلق الغطاء ، وأدرت المفتاح ...

لا أدري كيف ، لكن هذه الأمثال توارثت على الفور .. لو
كانت خواص المادة تعمل هنا لبقيت أجزاء منها فى هواء
الغرفة .. لقطعها غطاء الصندوق حين أغلقته .. لكن هذا لم
يحدث ..

ساد الصمت من جديد ثم قلت بصوت أجش :

« أعد الضوء .. »

هذه المرة فتح د. (ماهر) الستائر ففسر الغرفة ضوء
تنهار فسطع ينكرك بأن هناك عالماً بالخارج ، وهو لم ينته
بعد .. كان هناك طالب يثرثر مع فتاة فى حديقة الكلية ، وقد
بدا واضحاً أنه يهيم بها .. يعتقد أنه فهم كل شيء وخير كل
شيء وأن الجزء الضئيل من أسرار العالم الذى لا يعرفه ،
لا يستحق معرفته .. كيف لو رأى ما كان يحدث هنا من حقيقة ؟

قال د. (ماهر) وهو يعود للجلوس صاحب الوجه :

- « أنا أسف .. لا أعرف سر العصبية التي استبدت بي ..
لم أكن حرقاً معاً قلت .. »

قلت راسعاً ابتسامة :

- « أنت لم تقل شيئاً جديداً .. لقد سمعت هذه الآراء
حتى مراراً .. حتى بدأت أعتبرها حقائق لا إهتات »

يلا شفته السفلى بلسانه ، وقال :

- « هذا الصندوق مربع .. »

- « أعرف أنه مربع .. لا أحتاج إلى استاذ فيزياء كي
يخبرني بهذا .. لكن ما تفسيرك لمحتواه ؟ »

ضحك في عصبية وقال :

- « تفسير ؟ كف عن المزاح .. لي نصيحة واحدة هي أن
تخلص منه في أقرب حفرة .. أو أن تبلغ هيئة الطاقة الذرية كي
يدفئوه مع مخلفات المعاملات .. هذا هو الوضع الوحيد .. »

خطر لي للحظة أن هذا هو الحل الأمثل .. ليس التخلص
من الصندوق لكن التعامل معه كأنه مشع .. من وراء
زجاج مسيك يمكن أن تفنحه وأن تبحث عن الترياق ، ثم
تخلقه .. كل هذا دون أن يتعرض له كائن بشري ..

لكن من قال إن هذه الأساليب المادية (الفيزيائية)
تصلح مع عالم لا مقياس له ؟ من قال إن هذه الكائنات
لا تخترق الزجاج السيك أو الرصاص ؟

شكرته وغادرت المكان شارد الذهن ..

9 - محاولة فاشلة ..

عندما جاء المساء طرقت باب (عزت) لأطمئن ..

فتح لي الباب ، وعلى الفور أفركت أن الأمور ازدادت سوءاً ..

كان وجهه منتفخاً بشدة ، وقد زال صوته أو كاد .. وتورمت
أخذ للمغلوبية في عنقه ، كما هي صورة في مرجع طبي عن
داء هودجكين Hodgkin وهو نوع من سرطان الثدي ..

قلت له في رعب :

- « أنت في حال سيئة .. »

هذه المرة لم يجادل كثيراً .. هز رأسه موافقاً .. وهذه
المرة أيضاً لم أتركه .. أصررت على أن أخذه في جولة
طبية سريعة .. لابد من رأي طبيب أنف وأذن وحنجرة
يقسم لي أن هذه ليست (دفتيريا) .. لابد من صورة دم
دقيقة لأقروها بنفسى لأننى لا أثق بشخص آخر .. لابد من
بعض فحوص مختبرية ..

إن ليلة حافلة تنتظرني ..

لكن النتيجة - بعد عشاء - كانت مجموعة من علامات
الاستفهام .. الكثير من هزات الرأس .. لا أحد يفهم
شعور ، لكنه ليس خطيراً على الأرجح ..

وخطر لي فئس - ربما - الوحيد الذى يعرف الحقيقة كاملة ..

لكن أية حقيقة هذه وكيف أستفيد منها ؟

* * *

في ظلام الليل قدت سيارتى في ذلك الطريق المنعزل ..

لم يكن هناك أحد ، ولم أر أضواء سيارات أخرى ..
لا بأس .. إن الحظ حليقى حتى هذه اللحظة ..

أخيراً أنا خارج المدينة .. خارج العمران .. نو أرت
البقة أنا في مكان ما من طريق صحراوي ، حيث يوجد معبر
جلبى أعرفه جيداً ..

سئيت سيارتى نحو ربع الساعة في تلك الطرقات المتعرجة
الخطرة ، وفى النهاية أوقفت السيارة وترجلت ..

القمر يسطع جاعلاً الرؤية ممكنة .. ليست أروع رؤية
في الكون ، لكنها ممكنة ..

هناك تلك المنحدر الوعر الذي تحف به نيات الصيار ..
هناك هاوية عمقها نحو ستة أمتار ، لكن ليس العمق هو
ما أريد .. ما أريد هو صعوبة أن يجتاز مخلوق كل هذه
الأشواط ليصل إلى أسفل .. ما أريد هو مكان لا يصله بشر ..
وحتى أنا لو أردت استرداد الصندوق فلن أستطيع ..

نظرت حولي ثم أخرجت الصندوق من السيارة ..

رفعته وتركته يهوى عبر المنحدر الوعر .. صوت
التصير يتمزق أو ينزع من مكانه ، ثم توقفت الأصوات
بعدها وجد الصندوق مستقرًا له ..

حتى لو وجده أحدهم سوف يستغرق وقتًا طويلاً في
محاولة فتحه لأن المفتاح سيظل معي ..

قد تسألني : وماذا عن الترياق ؟

لا أعرف .. لقد اتخذت قرارى على كل حال .. إما أن
موضوع الترياق خدعة ، وأنا لن أجازف من أجل خدعة ..
وإما أنه حقيقة وأنا لن أعرض الناس لهذا الخطر الشيطاني
من أجل سلامة شخص واحد ..

فليحرم الله (عزت) وينقذه .. فلنا عاجز عن العثور على
حل أرضى لهذه المشكلة ..

كان هذا هو قرارى الحسير الذى وصلت إليه بعد ساعات
من التفكير ، منذ عدت بـ (عزت) من الجولة الطبية . لهذا
لا يتدهشن أحدكم لو عرف أن الساعة الآن الثالثة
صباحًا ...

استدريت عائدًا إلى السيارة .. الحصن الآمن الدافئ ..
الحصن الذى يحمل دافعًا خطر أن يتعطل أو يفشل فى
الفرار بك ..

وانطلقت عائدًا من حيث كنت ..

لأبد أننى قفنت السيارة نحو ربع ساعة .. ولأبد أننى
بدأت أنعس حين لمحت هؤلاء الرجال واقفين على
الطريق ، وهم يشيرون لى بكشافات عدة ..

قطاع طرق ؟ ثم دنوت أكثر فعرفت أنهم على الأرجح
رجال مباحث .. هذا كمين أعد فى الساعة المتأخرة ،
ولا ألومهم لأن هذه المنطقة خطرة سبب السمعة .. ولو لم
يرتابوا فى سيارة تمشى .. فى الترابعة صباحًا ، فبم يرتابون
إن ؟ لو لم يرتابوا فلماذا نعيش فى (يوتوبيا) ذاتها حيث
كل الناس صادقون شرفاء ..

رأيت ضابطًا بثياب مدنية .. لا يمكن أن تحسبه شخصًا

آخر .. وعدنا من المخبرين بلبسون الزى الرسمي للمخبرين :
المعطف الثقيل والطاقيّة والعصا .. فقط ينقصهم أن يعلقوا
لائحة (مخبر) على الصدور ..

دنا منى أحد هؤلاء ونظر إلى السيارة جيداً ، ثم طلب
منى الرخصتين .. تفحصهما بعناية ثم طلب منى أن أترجل ..

إنه التوتير البوليسى الذى يجعلك تتصرف بعصبية
لاداعى لها .. لكنى قدرت أنهم يعرفون هذا بخبرتهم ..

ألقي نظرة على السيارة ثم صاح متألياً الضابط :

- « هذا الصندوق يا فتى ! »

صندوق ؟؟

تصلبت فى ذعر .. فرائته يخرج من الباب الخلفى ذلك
الصندوق اللعين .. إنه هنا ! وراح الدم يصفر فى أنفى ..

لقد عاد ! لقد عاد !

هذه رسالة واضحة لى : لا تتخلص منه فإنه يخصك !
القرار الصير ينتظر عليك أن تتخذه ..

على أن متظرى بالطبع لم يبد كشخص آثار هذعه أن

الصندوق عاد .. بدا منظرى صلحاً لتعثل اسمه (العشيرة) ..
أو لصورة فى كتاب كتب تحتها (يكاد المريب أن يقول
خذونى) .. أو صورة فى المجردة لإرهاى سقط فى قبضة
الشرطة بصندوق المتفجرات ، أو متأمر سقط بصندوق
المتشورات ، أو فى أحسن الظروف - مهرب مخدرات
افتضح أمر بضاعته ..

سألتى الضابط فى هدوء وهو يسلط كشفاً على الصندوق :

- « ماذا يحوى هذا الصندوق ؟ »

قلت وأنا أبتلع ريقى :

- « لا أعرف .. »

نظر لى فى حيرة ، وأعترف أنه كان مهتماً برغم كل شيء ..

قال بنفس الهدوء :

- « افتحه .. »

لم أزد .. فقط مددت يدى إلى جيبى فهتف أحد
المخبرين :

- « بهدوء ! »

لكن يدي خرجت حاملة المفتاح النحاسي الصغير ،
وقلت :

- « هذا هو المفتاح لكني لا أتصاح بفتحه .. »

سألني الضابط وقد بدأ يتوتر :

- « ما الشيء الموجود في هذا الصندوق ؟ »

- « لا أعرف .. لكنه خطر .. هذا هو ما أملك قوله .. »

نظر إلى أحد المخبرين وقل آمراً وهو يشير للمفتاح في يدي :

- « افتحه يا (بسطويسى) ولكن بحذر .. »

خطر لى أنه من الواجب - يوماً ما - أن أجري دراسة
ميدانية لمعرفة لماذا يحمل كل المخبرين اسم (بسطويسى) ..
طبعاً كانت فكرة غريبة لا مكان لها ، وتدل على نوع من
الخيال في تفكيرى ..

المهم أن الأخ (بسطويسى) مد يده وعالج المفتاح ، فوثب
الغطاء مفتوحاً .. قال لرئيسه وهو يتفقد الداخل بالكشاف :

- « إنه فارغ يا سيدى .. »

فارغ ؟ ولكن ؟

ثم أغلقه ووقف ينتظر التعليمات ..

راح الضابط يسألنى بضعة أسئلة روتينية عن السبب
الذى جعلنى أتواجد هنا فى هذه الساعة ، سادست لا أهرب
المخدرات أو أفن قتيلاً .. هذا فى رأيه تصرف مريب ،
وكان القنلة والمهربين هم الوحيدون الذى من حقهم التأم -
وربما من واجبهم - التواجد هنا ..

كنت قياً .. كما تتوقعون - غرقاً فى عالم كثيف من الأسئلة ..
لسأتى بـمخترع المبررات لكنى لا أعرف ما يقوله فعلاً .. دعه
يتصرف فهو يعرف كيف يقضى بنفسه .. إنه لسان عجوز
بارع ..

لماذا لم يجن الجميع ؟ لماذا مر الأمر بهذه البساطة ؟

هل انتهت شحنة الصندوق من الكوارث ؟

فى النهاية أعلوا لى لـرخصتين .. وسعوا لى بأن أطلق ..

قلت فى نفسى : كان هذا قريباً جداً .. كانت مذبة مستفح
وتكون مسلولاً عنها بشكل أو بآخر ..

أم أن القصة كلها وهم فى رأسى ؟

قال د. (رمزي) وهو يخلق الكتاب الصلبي الذي كان يطالعه :

- « وهم لا .. أسف .. لقد رأيت معك كل شيء .. »

ثم أضاف وهو يعيد الكتاب إلى المكتبة :

- « لو فقدنا الثقة في حواسنا فماذا يبقى لنا ؟ »

قلت له في ضيق :

- « الحقيقة إنني لا أجد تفسيراً .. »

قال مفكراً :

- « ثمة احتمال لا بأس به أن تكون الشحنة قد فرغت .. »

قلت تقول إن الصندوق قد فتح من قبل وسبب كارثة في قرية يونانية .. ماذا يمنع من أن تكون التجارب المستمرة قد أفرغت شحنته ؟ »

- « بهذه البساطة ؟ »

ثم مددت يدي إلى جيبى وأخرجت تلك القصاصة التي أعطانيها (عزت) .. ناولتها له ، وقلت :

- « تأمل هذه وفكر .. هل لديك انطباعات معينة ؟ »

راح يقرأ بصوت مسموع :

- « أحسبك الآن قد فهمت .. تم لم .. لا أقصص .. تم .. نجمۃ النهار .. هل أنت متأكد من أنك لا تعرف واحدة بهذا الاسم ؟ »

قلت وأنا أمدد ساقي على مسند وجدته أمام مقعدي :

- « بالطبع لا .. المقروض أن كاتبة هذه الرسالة هي (إيفينا) نفسها .. إن الفتيات يطلقن على أنفسهم أسماء شاعرية تشبه تصورهن لأنفسهن .. عرفت فتاة تلقب نفسها بـ (القلب المرفف) وفتاة تلقب نفسها بـ (آخر شيء محترم) .. هذه الفتاة تعبر نفسها (فينوس) .. ولا أعتقد أنها مخطئة إلى هذا الحد .. »

قال مفكراً :

- « ليس الأمر بهذه البساطة .. هي ليست من هذا الطراز .. أعتقد أن هذا الاسم تم اختياره بغاية لتوصيل رسالة ما .. »

هنا توقفت وقد بدا لي الأمر مألوفاً :

- « كوكب الزهرة (فينوس) يظهر في الصباح .. لذا يطلق عليه اسم (نجمۃ النهار) .. و ... »

وارتجفت .. كل هذا يبدو مأثوفاً أكثر من اللازم :

- « (نجمة النهار) .. باللاتينية .. أى الغرور الذى يقود صاحبه للهلاك فى الديانة المسيحية ، من ثم صار المصطلح يعنى الشيطان .. (لوسيفر Lucifer) »

لم يكن د. (رمزى) متعجباً بهذا الجزء من تاريخي الحافل ، لذا تساءل فى حيرة :

« هل هذا مهم ؟ »

- « صديق قديم أرسل لى هذه الهدية وهذا الملصق ليرى كيف أتصرف .. »

وتخيلت د. (لوسيفر) يستمتع بوقته تماماً ، ويردد مقولاته الأبدية : « إننى بهذا أسعد ، وله قلبى يطرب .. »

سألتى د. (رمزى) السؤال المهم هنا :

« هل يفيدك هذا فى معرفة ما يتبقى عمله ؟ »

قلت وأنا أكتب الاحتمالات فى ذهنى :

- « لا أظن .. فكيف عرفت على الأقل من يكمن وراء هذا كله .. إنه وغد .. وهو يعتقد أننى عرفت أكثر مما يجب بالنسبة لشخص فإن .. لذا أرسل لى هذا الانتقام الفريد من

نوعه .. وأنا أقيمه إلى حد ما ، وأعرف أن هناك خلأ للمعضلة .. طريقة تفكيره تحتم أن يكون هناك خلأ للمعضلة ، لأنه يعشق هذه الألعاب الصغيرة .. لكن الحل مرلوح مثله .. ربما يكون لفظياً .. »

قال فى رضا كإن المشكلة انتهت :

- « جميل .. أرى أن تجلس فى دارك وتعيد التفكير فى قصة عدة مرات .. وأرى أن تترك لى الصنوق .. لا تخف .. أنا لن أفتحها .. »

ثم فكر قليلاً واستدرك :

« أو ربما أفتحها .. فأنا أعتقد بصدق أنه خال ! »

10 - وجدت الحل ..

دق جرس الهاتف فركضت لأرد عليه .. تعثرت في
البساط وبصعوبة تمكنت من التوازن ، لهذا تميت لمصلحة
المتكلم أن يكون الأمر مهماً ..

جاء صوت نثني من الهاتف :

- « د. (رفعت) ؟ أنا (ماري) .. »

طيفاً هي (ماري) زوجة د. (رمزي) .. وظهناً هناك
غائبة ..

- « ماذا حدث ؟ »

- « (رمزي) في حالة هياج غير طبيعية .. لقد حطم
كثيراً من الأثاث ، ثم توجه إلى الجيران ليشتاجر معهم ..
يبدو أنه تذكر فجأة أنهم تركوا كيس القمامة على بابنا منذ
عامين .. أرجوكم أن تأتي .. »

هكذا ارتدت ثيابي سريعاً ، وانطلقت في الشوارع قاصداً
بيت د. (رمزي) ...

كان المشهد حين اقتربت كابوسياً ، فالشارع مزدحم ، وهناك
سيارة إطفاء تقف .. بينما المياه أغرقت الشارع حتى

التكاملين .. وكان هناك رجال إطفاء يهرعون إلى النرج ،
بينما سيارة إسعاف تحاول أن تجد مكاناً تتوقف فيه ..
مئات المتسكعين يقفون هناك ..

ثمة سيارة اصطدمت بعمود نور عبر الشارع ، وقد
تحولت مقدمتها إلى ورقة مجعدة تقريباً ...

هناك نسوة يقفن بثياب النوم وبصرخن ويلظمن الخدود ،
والدخان يتصاعد من كل مكان في البناية ...

العزيب من المياه ترتفع ، ورجل مطافئ يحمل
(الهاشپوري) يصرخ في زميله :

- « تهشمت المضخة .. ما هذا النقص ؟ »

في هذه اللحظة ركضت سيارة عبر الشارع بسرعة
جنونية .. أحقق يعتقد أنه على الطريق السريع ، أو أنه
يقود نفاثة .. وهكذا لم يجد وقتاً ليتحدثني سيارة وقف
صاحبها ليراقب المشهد عن كثب .. وعلى الفور انفجرت
ملحمة ارتطام الحديد بالحديد ...

اخترقت الزجاج بقوة .. تنفبت أكثر من لكمة أو ضربة
كوع في وجهي ، نكتي بلغت الدرج ...

وهتف أحد رجال الإطفاء وهو يسد الطريق بيده :

- « لا يمكنك أن تصعد .. »

هتفت بالزعيب المناسب لإقناعه :

- « أنا أمكن هنا .. »

كان المصدر مغطلاً طبعاً .. فيما بعد عرفت أن الحبلى
التي تلمسك به قد قطعت .. لكنه كان خائياً لحسن الحظ .

رحت أركض صاعداً الدرج شاعراً بأن كل درجة هي
الأخيرة ، والبلخان يقاريد ...

لقد فتح الأحمق الصندوق .. فتحه .. واتضح أنه كان
مغطئاً .. ما زال الصندوق قادراً على عمل الكثير ..

البنية الرقيقة الأنيقة تحولت إلى مستشفى مجائين ..
لكنى واصلت الصعود ..

وعرفت أن الحريق شب بالطابق الثاني .. يبدو أنه من
كهربائى .. هذا بعيد شقة (رمزى) عن القصة ، لكن
لا أعرف كيف تمكن وزوجته من مغادرة الشقة فى الطابق
الخامس .. هذا إن كنا غلارها ...

واصلت الصعود .. وفى الطابق الخامس وجدت زحاما
مرعباً ، وحاولت أن أفهم ما يدور هناك لكن يداً باردة
وضعت على كتفى ..

- « د . (رفعت) .. نحن بخير .. »

إنها مذاق (ماري) .. حمداً لله .. صحيح أن هناك كدمة
حديثه واضحة فوق حاجبها ، وصحيح أن عينها اليسرى
تورمت كالملاكمين .. لكن هذه أمور قابلة للإصلاح ..

واصلت الكلام وهى ترتجف :

- « كان (رمزى) على وشك قتل الجيران أو كانوا هم
على وشك قتله .. لولا شب الحريق .. لقد أنقذنا هذا
الحريق لأنه يدد جو العدوانية العام .. أرجو أن يكونوا قد
سيطروا عليه .. »

قلت لها وأنا أهرع إلى شقتها مفتوحة الباب :

- « أعتقد ذلك .. ما نمت أنا نفسى لم أحترق ، فمن
الواضح أنهم سيطروا عليه ! »

- « وإلى أين أنت ذاهب ؟ »

- « الحمام طبعاً ! »

كان لابد من حجة أبرر بها اقتحام شقتها بينما هى
وزوجها بالخارج ...

بالفعل رأيت الكثير من الآثار المبعثر .. ويبدو أن شاشة
التلفزيون قد تلقت ضربة محكمة بمطقة الشبغ .. تست على
عشرات الأشياء الشميلة ..

هذا هو المكتب ...

يجب أن أعمل بسرعة إنتى ...

هذا هو الصندوق .. إنه مفتوح بالفعل .. صندوق
(بندورا) مفتوح وأنا ...

إننى أتمنى ثياباً إغريقية .. أرى نفسى أنسلل وسط معبد
إغريقى هائل الحجم .. هناك تمثال ضخم لـ (زيوس) ..
هناك نار عملاقة موقدة فى حفرة تحت قدمى التمثال .. أنظر
حولى .. أخرج من تحت ثيابى قطعة من المعدن .. أمسك
بعضاً معدنية ، وأمد طرفها إلى النار .. أوه ! إنها ساخنة ..
طبعاً يا أحمق .. المعدن موصلة جيدة للحرارة .. أتم تتعلم
هذا ؟ لكن لا وقت يسمح بالأكم ..

لا بد من سرقة بعض هذه الزهور المشتعلة .. إن الأمر
يستحق ...

لا بد من ...

كف يا (لوسيفر) عن هذه الألعاب السخيفة .. أنا لست
(برومثيوس) و (برومثيوس) لم يكن له وجود ..

أرى الصندوق المفتوح أمامى فأغلقه بحف وغظته وإحكام ..
أخيراً بعض السلام ..

ثم ألتقط المفتاح فأديره فى القفل .. أحمل الصندوق تحت
إبطى وأغادر الشقة ..

لا تسألنى عن مصدر هذا الأكم فى كفى .. لقد أحرقتنى
عمود ساخن فى (الأولمب) منذ دقائق .. قننت هذا
واضحاً .. تسألنى كيف ؟ لأن أوهام (لوسيفر) أنها مضمّن
وطعم ولون والرائحة .. إنها تحرق وتخمش وتسمى ..

فى الخارج وقف حشد الناس .. لقد بدأ الهدوء يسود
المكان كما توقعت ..

« أنت هناك ! إلى أين تذهب بهذا الصندوق ؟ »

كان هذا أحد الواقفين وقد رأى أغار شقة (رمزى)
بهذا الصندوق الذى يبدو ثميناً .. طبعاً منظرى مريب جداً ..

« دعوه .. دعوه .. فهو صديقى .. »

كان هذا هو د. (رمزى) نفسه ..

رأيتة فى امتحان يقف وسط الناس .. يبدو أنهم يتصاقون
أو يثيرون ما نسميه نحن (قعدة عرب) .. كان مبستر
الثياب مغبر الوجه .. ويبدو أنه لم يضرب الجيران فقط بل
ضربوه هم أيضاً ..

ابتسم لى وقد فهم ما قمت به ، فhezزت رأسى بمعنى
(لقد - فهمت - ما - حدث) .. فهز رأسه بمعنى
(خذ - معك - وكن - حذراً) .. نظرت له نظرة من طراز
(أنت - معنوه) .. فابتسم فى إتهاك ..

هكذا غادرت البناية ، وقد أدركت أننى بالفعل قمت
بالتشياء المناسب .. كان المكان سيئحوّل سريعاً إلى جحيم
(داننى) ..

وقدت سيارتى وأنا أتأمل الصندوق فى غل ..

المشكلة هى أننى لا أجد الوقت فى أية مرة كى أفتشك
بعناية .. لو كان هذا الترياق فيك فأتأ لا أجد الوقت للبحث
عنه لأن الهلوس الملموسة تهاجمنى ..

ورحلت أقود سيارتى فى جنون وأنا غارق فى أفكار
سوداء ..

فجأة خطر لى الجواب .

وكان معقولاً ..

أعتقد أننى أعرف ما يجب عمله ...

لم يرد (عزت) على حين قرعت الباب ...

واصلت التدق حتى استجاب أخيراً .. أدركت من خطواته
أن الأمر صار خطيراً ، وحين فتح لى الباب رأيت صورة
فظة جذيرة بكوابيسى ..

قلت له وأنا أجرد إلى الفراش :

« يا لك من شيطان تعس ! لم يعد من حذك أن تظن
وحيداً فى دارك .. بأى ثمن .. سأخذك إلى المستشفى .. »

راح يتكلم بصوت كالفحيح فلم أفهم شيئاً ..

هكذا فتحت خزانة ثيابه وبحثت عن ثياب تصلح .. إن
لديه أروع مجموعة من الكرات لى خزانة ثيابه .. كرات
هى قمصان ، وكرات هى سراويل ، وكرات صغيرة خيشة
الرائحة هى جوارب .. ويبدو أنه يختار كرة من كل
مجموعة صباح كل يوم .. لا أكثر ولا أقل ..

هكذا انتقيت ثلاث كرات ، ودسسته فيها ، ثم أسندت
فراعه على كتفى ونزلنا فى المخرج ...

ساعدنى بواب البناية مع أحد العمارة ، وإن أصابهما
الذعر من كل هذا التشوؤ الذى ظهر على وجه (عزت)
فقلت لهما قى ثقة :

« ليس معدياً ! لا تخشياً شيئاً ! »

ووضعه في سيارتي ، بينما القواب يضرب كلاً بكف ..
لقد كان الأستاذ (عزت) سلباً كجرس من يومين .. ماذا
حدث ؟ إنها حياة العزوبة عليها اللعنة ...

لم أحتق والطلقت بالسيارة نحو المستشفى الذي أصعب به ..
لصيب الأضياء بالهلع ، خاصة هؤلاء الذي رأوه أول أمس ..
لقد تبدل بصورة لا تصدق حتى صار يذكر بالرجل الغيل ..
إحدى أشهر حالات التشوه في تاريخ الطب ...

وعلى كل حال لم يكن في جعيتي الكثير .. حاولوا إبقاء
هذا اليأس حياً .. لو الخلل شقظه فارفعوه ، ولو ارتفع
فأنفضوه .. لو أصابته الحمى قتلوا حرارته ، ولو انخفضت
حرارته .. حسن .. حاولوا أن تشفوه قليلاً ...

وغادرت المستشفى شاعراً بأن الوقت يضيق ..

يضيق حتى صار على اتخاذ قرار سريع ...

د . (لوسيفر) أيها الأحق .. الأمر بيني وبينك فلماذا
تعذب هذا اليأس ؟

لكن الإجابة كانت واضحة .. أنا تعذب أكثر من أي
شخص في هذه القصة .. بالفعل الانقراض موجه لي وليس
لسواي ، خاصة مع كوني أعرف ما ينبغي عمله تقريباً ..

وحيثاً في الصحراء أوقفت سيارتي ...

نظرت حولي في ستة الاتجاهات .. يمين .. يسار ..
وراء .. خلف .. فوق .. تحت .. لا أحد يراني ..

مددت يدي وأخرجت الصندوق ووضعه على كبد السيارة ..

أخذت شيئاً عتيقاً ثم مددت يدي إلى الملتاح ...

أولجته في الثقل وأمرته ...

من ثم وثب اللطاء مفتوحاً ...

وقفت أنتظر بعض الوقت ..

أنتظر رحلتى الثانية إلى عالم الأساطير الإغريقية ..

أتصور أن يظهر الرخ من جديد ليتوشى ، ويتخذ
بالتهام كبدى ..

أنتظر الجنون الذي سيزحف على أعصابي حتى أجن .. ربما
أضرب راسي في السيارة حتى ينقجر ، أو أقودها نحو الهاوية ..
سمعت عن مخابيل ينشعرون بإتلاخ سائلهم فهل هذا وارد ؟

الحقيقة أن (لوسيفر) قوى جداً .. قوى إلى درجة مغرعة ..
لِمَ لا ؟ ألم تر كيف يرتجف منه سادة (جانب النجوم)

ويطبعونه بلا مناقشة ؟ فقط أنت تكتسى ذلك أحياناً .. تمزج معه أو تتكلم .. والحقائق تعتقد أنه فى مستواك ، وأنكما تلعبان لعبة شطرنج عقلية لا أكثر ..

من دقائق رأيت ما يستطيع هذا الوحش أن يفعله .. وعرفت أن الخصم العظمى الذى تتصوره ، يملك قوة مربعة .. بالتوقع ليس هناك من يتنافس هذا التكتان فى قوته .. لكنى لست وحيداً .. إن الله معى .. أعرف هذا وأؤمن به ..

لقد مرت دقيقة ونم يحدث شىء ..

هكذا مدت يدي إلى الصندوق وزحمت أبحث فى داخله .. لقد كان خاوياً تماماً !

لا توجد بطانة أو جيوب سرية .. مجرد صندوق خال ... ووقفت أنتظر ...

بضع دقائق أخرى ، ثم بدأت أشعر براحة تفرنى .. أمل خالص يتسرب إلى نفسى .. سوف أربح هذه المعركة .. أعرف هذا .. انتظرت حتى بدأ ذلك الشعور يثبت فى نفسى ويستقر ثم أغلقت الصندوق ..

11 - خاتمة ..

لم يكن ما فعلت به ضرباً من السحر أو المعامرة التى نجحت ..

لقد بنيت عدة استنتاجات واتضح أنها صائبة أو هذا ما اعتقدته ..

أولاً : قام الصندوق بتأثيره الشيطاني فى كل مرة فتح فيها .. ما عدا مرة واحدة ، هى تلك الليلة التى استوقفتنى فيها كمين الشرطة .. فما معنى هذا ؟ ثمة احتمال أن اسم (بسطويسى) يعطل عمل الصندوق .. لكنى أستبعد أن يكون (لوسيفر) نفسه قد سمع بهذا الاسم من قبل .. فكرت فى الظلام .. فى بخان التبغ .. لكن هذه جميعاً كانت عوامل موجودة فى مرات سابقة لدى فيها الصندوق عمله ..

فكرت فى أن الصندوق لا يزدى عمله إلا مع شخص لو شخصين على الأكثر .. لكن هذا ليس صحيحاً .. كان هناك زحام فى الورشة بينما كان (رمزى) وحده .. أى أن عدد الأشخاص لا يلعب دوراً ..

هنا خطر لى الأمر كوهج .. نوع من الإلهام .. لقد كان

الصندوق يعمل دائماً في الأماكن المغلقة .. بينما العمرة الوحيدة التي لم يعمل فيها كانت في العراق .. تقول الأسطورة إن (بندورا) فتحته في دارها .. لهذا فكرت في أن أفتح الصندوق وأفتشه في العراق ..

كانت مقامرة لكنها نجحت ...

النقطة الثانية هي أن أهوال الصندوق تدفع كل إنسان إلى الإصرار بخلقه على الفور .. حدث هذا مع (بندورا) نفسها .. لكنها ارتكبت بهذا خطأ جسيماً لأنها حبست روحاً أخيرة .. الأمل ..

قررت أن أفتح الصندوق وأتركه حتى النهاية .. وقدرت أنه لو التزم (لوسيفر) حرفياً بالأسطورة ، فإنه لن ينسى هذه الجزئية ..

أعتقد أن هذا صحيح ... لو كانت هناك آثاراً سلبية حلت بالعلم من الصندوق فقد أزالها الأمل ..

أعتقد أن الصندوق خال الآن وملأه ..

لهذا حفرت حفرة عميقة في الصحراء ، ثم دفنت ذلك الشيء الكابوسي فيها ، وأهلت عليه الرمال ..

لو كان تقديرى صحيحاً فلما لن أجده ينتظرني في داري لدى العودة ..

طبعاً قمت بتحديد مكان الحفر .. لا أريد أن أكتشف فجأة أن الصندوق مازال مهبطاً ، بينما أكون قد فقدت كل شيء ...

الآن ... ما زالت هناك مشكلة صغيرة ..

(عزت) ..

كنت أعرف الآن أن موضوع الترياق صحيح ..

ليس لأن د. (لوسيفر) صديق أمين ، فهو وعد لا يتورع عن شيء ، ولكن لأنه يملك ولعاً بالدقة واللعب حسب القواعد .. كما قلت هو يستمتع بوقته لا أكثر ولا أقل ، ولو كان تكثيره عملياً (براجمائياً) لفنك بي منذ عشرات الأعوام ...

« لأن الحق من أمثالك هم ما يجعل للحياة طعماً .. إن (المائوية) تقول إن الشر ضروري للكون كالخير ، ولولا الشر ما وجد الخير .. إن الحياة لا تستقيم إلا بوجود مصاصي الدماء وقتلة مصاصي الدماء .. لهذا تركتك حياً لأن جولات كثيرة تلتظفنا معاً .. جولات أكثر امتاعاً من هذه ! »

هو قلبها لى ذات يوم فى (هالماجيو) ، وكان على حق ..

إذن على أن أفترض أن الترياق موجود ..

لكن أين هو ؟

لا أكر أن الصندوق فتح مرة واحد بشكل كامل قبل وصول المفتاح .. المخبر فتحه لكن قال إنه لا يحتوى شيئاً .. من يدري ؟ ربما لم يهتم بأنبوب صغير ملقى فى ركن ، لو كان الترياق بهذا الشكل .. كان يبحث عن (طرب) الحشيش أو يد الجثة أو المنشورات .. فلماذا يهتم بأنبوب صغير ؟

لماذا بعد فتحه د. (رمزى) ..

فلماذا فعل ؟ لو كان قد وجد شيئاً فقد نسي الأمر وسط الجنون الذى أصابه ..

هكذا كنت سيارتى من جديد إلى بيت (رمزى) ..

كانت الأمور قد هدأت قليلاً .. لم يعد هناك إلا الكثير من القذارة ..

فتح لى الباب متوجساً .. إنه يمر بالمرحلة التى يمر بها كل من يعرفنى .. حين يتبين بوضوح أننى شخص خطر وأن وجودى ذاته كارثة ..

قلت له وأنا اتحكم شقته :

- « هل نظفت غرفة المكتب ؟ »

قال فى ضيق وهو يقلق الروب الذى يرتديه :

- « كنا منهمكين فى ذلك لولا ... »

- « إذن أسرع .. »

ودخلت المكتب معه .. ودون إذار ركعت على ركبتي ورحت أفتش عن شيء على البساط .. موضع القدمين .. فتحت الدرج وبحثت فيه .. هتف مقتظاً :

- « هل فقدت مليون جنيه هنا ؟ »

قلت فى صبر وأنا أفتش تحت المقاعد :

- « أبحث عن الترياق .. ظننت هذا واضحاً .. »

- « وهل تعتقد أننى كنت سأجده فلا أخبرك ؟ »

- « أنت كنت غارقاً فى ألف مشلجعة مع الجيران .. من الممكن أن تنسى .. »

قال وهو يهز يديه بإصرار :

- « مستحيل .. أنا أؤكد لك أن الصندوق كان خالياً .. »

رحت أو اصل التفتيش بلا جدوى ...

لقد أسقط في يدي .. فلا أعرف موضعاً آخر يمكن أن ...

قلت له وأنا أتجه لباب الشقة :

« لا أريد أن أكون فقط ، لكننا في الدقائق الأخيرة من حياة قتي لا ننب له .. يجب أن أجد هذا الترياق ... »

« ومن قال إن هناك ترياق ؟ »

« أنا متأكد من ذلك ... »

★ ★ ★

ومن جديد انطلقت بسيارتي ...

هناك احتمالات عديدة .. هل اختلس المخبر الأكبواب لنفسه عسى أن يكون شيئاً ثميناً ؟

أعتقد أن على أن أعود لأرى أولاً كي أتتحقق من ... لنا لم آخذ شيئاً من الصندوق ، لكن لابد من أن أعاود التحقق ..

وفتحت باب شقتي ورحت أفتش هنا وهناك ..

بحثت فوق المنضدة وسط تماثيل (الزولو) وتحتها .. من يدري ؟ ربما فعلت شيئاً وأنا في تلك الغيوبة أتخيل نفسي (برومثيوس) معقلاً بين جبلين ..

ربما أخرجت الأكبواب وسقط من يدي ..

ربما ..

هنا خطرت لي فكرة أخرى ..

هرعت إلى سلة الغسيل في الحمام .. هناك ذلك القميص الذي تلوث بدمي في تلك اللحظات .. لقد وضعته هناك ولم ألمسه من لحظتها ..

أخرجت القميص وتحسست جيبيه عند الصدر .. لا أنايب ..

لقد فعلت ما بوسعي ولم يعد في جعبتي شيء آخر .. فقط يعلم الله إنني حاولت ..

هنا شعرت بشيء في الجيب ..

مددت يدي فشعرت بتلك اللقافة الصغيرة .. إنها قطعة من الكتان ملفوفة بعناية حول مسحوق ..

هذه هي مشكلة التحيزات المسبقة والقولية الفكرية Archetype .. لقد وقع في وجداني ويقتني أن الترياق لا يوجد

إلا فى أنبوب اختيار أو زجاجة صغيرة .. هكذا علمتنا
القصاص .. فماذا عن لفافة بها مسحوق ؟

لقد وجدتها وأنا أفتش ذلك الصندوق .. وبينما أنا فى
تلك الغيبوبة دسست اللفافة فى جيبى .. أعتقد أن هذا كان
مرسومًا .. موقف السخرية الذى يروق لد. (لوسيفر) ..
أنا غارق فى التساؤل عما إذا كان على أن أفتح الصندوق
أم لا ، بينما ما أريده من الصندوق موجود خارجه فعلاً ..

وهكذا هرعت أغادر الشقة وأركب سيارتى من جديد
نحو المستشفى ..

★ ★ ★

فرغت من جعل (عزت) يشرب آخر قطرة فى الكوب
الذى أنبت فيه ذلك المسحوق ..

كان الأمر عسيرًا لأنه كان يحتضر تقريبًا .. لكن شفتيه
الجافتين راحتا تمتصان السائل كربة الراحة .. لا بد أن
مذاقه شنيع .. لكنى أعتقد أنه هو الإقناذ ...

سألته وأنا أناول الكوب لمرمضة تقف جوارى :

« هل تشعر بتحسن ؟ »

هز رأسه أن نعم ، وأغمض عينيه ليستريح بعد كل هذا
الجهد ..

كنت أعرف أنه سيتحسن .. قواعد اللعبة تقول إنه
سيتحسن ..

جنست منهكًا شاعرًا للمرة الأولى بالإثهاك بعد كل هذا
الصراع .. إن من يمشى ألف ميل لا يشعر بالتعب إلا بعد
إنهاء الرحلة ..

ودنا طبيب شاب منى بسألنى فى فضول :

« ما هذا الدواء الذى شربه ؟ »

قلت له فى إثهاك :

« هذا هو الترياق الذى كان فى صندوق (بندورا) ..
هذا هو أسلوب د. (لوسيفر) فى العمل .. أنت تفهمنى
أليس كذلك ؟ »

★ ★ ★

أشعر بحاجة ملحة إلى الراحة .

أشعر بحاجة إلى إجازة طويلة أستعيد فيها ثبات أعصابي ..

لكن كانت هناك قصة رهيبة تنتظرنى ..

كان على أن ألقى المحركين .. وكان على أن أواجه لغزاً غامضاً .. بمعنى آخر .. كان على أن أعود إلى روتين حياتي الممل ..

ولكن هذه قصة أخرى .

و. رفعت إسماعيل

القاهرة